

سلسلة في رحاب القرآن

٣

آية التطهير

بقلم

الأستاذ الشيخ محمد مهدي الآصفي

دار القرآن الكريم

سلسلة في رحاب القرآن



(٣)

بقلم
الأستاذ الشيخ محمد مهدي الآصفي





هويه الكتاب

الكتاب : آية التطهير (٣)

المولّف : الاستاذ الشيخ محمّد مهدي الاصفي

الناشر : دار القرآن الكريم - ايران - قم ؛ صندوق البريد ١٥١ - شارع ارم

المطبعة : امير - قم المقدسه

المطبوع : ٣٠٠٠ نسخه

الطبعة : الاولى

التاريخ : ٢٧ رجب المرجب ١٤١١ هـ - ق

ثمن النسخة : ٣٢٠ ريالاً

بِمناسَبَةِ المؤتمَر الثّالث للأبحاثِ والدِراساتِ القُرآنيّة

في ايران، قم، دار القرآن الكريم ٢٧ رجب ١٤١١

بسم اللّه الرحمن الرحيم

﴿إنما يريد اللّه ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيرا﴾

المدخل الى آية التطهير

بسم اللّه الرحمن الرحيم

(آية التطهير) المباركة مفتاح لفهم الكثير من المسائل في الفكر والثقافة الاسلامية..

ومن هذه الآية المباركة نستطيع أن ننطلق في تحديد وتشخيص الخط الفكري للاسلام في الأصول والفروع بعد وفاة رسول اللّه(ص).

ونـظرا لأهمية هذه الآية الكـريمـة، ودورها في توضيح هذه المسألة الحساسة والخطيرة في الاسلام، فقد حاولت أن أفرد هذه الآية الكريمة بدراسة توخيت فيها الايجاز والتركيز قدر الامكان. أسأل اللّه تعالى فيها أن يهديني سواء السبيل، وأن يجعلها نافعة ومفيدة في أداء هذه المهمة.

محمد مهدي الآصفي

بسم الله الرحمن الرحيم

بعد الايمان بالله ورسوله واليوم الآخر.. لا يواجه المسلم سؤالا يتعلق بدينه أهم من معرفة المصدر الذي يستقي منه دين الله في أصوله وأحكامه.

فان الله تعالى كلف عباده بامتثال أحكامه، ووضح لهم أسسا وقوانين وتفاصيل للحرام والحلال، ولم يعد هناك شيء الا ولله فيه حكم محدد من وجوب أو حرمة أو كراهة أو استحباب أو اباحة.

ولابـد من أن يستند المسلم في امتثال أحكام الله تعالى في عباداته ومعاملاته وسائر مايتعلق بالدين من أخلاق وعقائد على مصدر يعتمده ويثق بانتسابه الى الله تعالى. ولايكتسب أي حكم من الأحكام الشرعية صفة الشرعية والانتساب الى الله تعالى، مالم يكن مستنداً الى مصدر موثوق من مصادر التشريعة، قد عينه الله تعالى لعباده.

وفي أغلب الأحوال يؤول الاختلاف في المذاهب والآراء في الفقه والعقائد الى الاختلاف في المصادر التي يعتمدها العلماء في معرفة دين الله تعالى.

وعليه فان التأكد من مصادر التشريع تأتي بعد مسألة التوحيد والرسالة على رأس اهتمامات ومسؤوليات الانسان المسلم. فهو يحاسب ويسأل عن كل فعل فعله باسم الـدين، وأي حكم ينسبـه الى دين الله، وعن كل عمل وموقف وقفه باسم الـدين...... عن المصدر الذي كان يعتمده، وعن حدود تأكده ويقينه باستناد هذا المصدر الى الله تعالى.

وانطلاقامن هذه الأهمية التي تحوزها مصادر التشريع نود أن نلقي في هذه الدراسة نظرة على مسألة مصادر التشريع بعد وفاة رسول الله(ص).

السنة النبوية

المصدر الأول لأحكام اللّه تعالى فيما بين المسلمين هو القرآن الكريم.. من دون شك.

والمصدر الثاني الذي يأتي بعد القرآن هو السنة النبوية، من دون شك أيضا، وهو فعله وحديثه وتقريره (ص). وتأتي السنة في المرتبة الثانية بعد كتاب اللّه عز شأنه.

وفي السنة تفصيل لما أجمله القرآن، وشرح لمتشابهه، وأحكام ليس لها ذكر في القرآن الكريم، تشرحها السنة وتفصلها.

وقد ظهر في التاريخ الاسلامي اتجاه يدعو الى الاستغناء عن السنة النبوية، كمصدر للتشريع، واعتبارها من اجتهاد النبي(ص) الخاص، الا أن هذا الاتجاه لم يدم طويلا، رغم قدم هذا الاتجاه، واستمرار بعض خيوطه الى الوقت الحاضر. واستقر المسلمون على العمل بالسنة النبوية واعتمادها كمصدر أساسي للتشريع ولفهم الاسلام.

ولسنا نحن فعلا بصدد استعراض هذه المسألة ومناقشتها، فقد كفانا ذلك استقرار المسلمين على العمل بالسنة والاعتماد عليها كمصدر أساسي أصيل للاسلام.

ثلاثة أسئلة حول السنة النبوية

لعل من نافلة القول أن نقول أن المسلمين واجهوا عقبـات كثيرة في الطريق الى السنة النبوية. وان طريق الوصول الى أحاديث رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسنته كان محفوفا بالكثير من المشاكل والعقبات التي كانت تحول بين المسلمين وبين أن يلتقوا بحديث نبيهم(ص) ويأخذوا عنه معالم دينهم وأحكامه في اجماله وتفصيله بصورة دقيقة وكاملة.

ولعـل هذه العقبـات كانت من أهم المشاكل التي عانى منها علماء المسلمين، وعانت منها الثقافة الاسلامية في الفقه والعقائد والأخلاق والتفسير. ولو أن السبيل الى حديث رسول اللّه(ص) كان ميسرا لما حدث ما حـدث للمسلمين من اختلاف في المذاهب والمسالك في الأصول والفروع، ولما حدث الكثير من الانحرافات التي حدثت في تاريخ الاسلام في الثقافة الاسلامية والذي كان مصدرا للكثير من مصائب المسلمين في تاريخهم.

وفيما يلي نريد أن نطرح ثلاثة أسئلة حول هذا الحوار بالذات:

أولا: ماهي الأسباب التي جعلت الوصول الى السنة النبوية أمراً صعبا وعسيرا في كثير من الأحوال؟

ثانيا: كيف ذلل علماء المسلمين وفقهاؤهم الطريق الى الحكم الشرعي عبر هذا الطريق الطويل والعقبات التي تحول بينهم وبين السنة النبوية.

فان الحاجة الى الحكم الشرعي حاجة قائمة في حياة المسلمين.. والحكم الشرعي يجب أن يعتمد مصدراً ودليلا وحجة بينة. ومالم يعتمد الفقيه مصدراً شرعياً، وحجة قطعية، فلا يستطيع أن يجزم بالحكم الشرعي. فاذا كان الفقهاء لايجدون الحكم في

القرآن، ولم يتيسر لهم السبيل الى السنة النبوية.. فكيف كانوا يهتدون الى الحكم الشرعي؟ ومن أي مصدر كانوا يأخذون الحكم الشرعي؟

وبتعبير آخر كيف كان الفقهاء يواجهون هذه المشكلة في طريق استخراج الحكم الشرعي.

وثالثا: وبغض النظر عن الطريقة التي اعتمدها الفقهاء في استخراج الحكم الشرعي.. ماهو العلاج الذي وضعه الاسلام لهذه الحالة؟ وهي حالة متوقعة ومترقبة ومعقولة. وهل فتح الاسلام طريقا الى السنة النبوية للفقهاء والعلماء عبر هذه الفواصل الزمنية الطويلة التي تفصلنا عن حياة رسول الله(ص)، وعبر العقبات الكثيرة التي تحول بيننا وبين الوصول الى السنة النبوية؟. واذا كان فما هو هذا الطريق؟

تلك هي الأسئلة الثلاثة الحساسة التي نود أن نطرحها للاجابة، ونحاول الاجابة عليها. والاجابة على هذه الأسئلة تشكل ـ في دراستنا هذه ـ المدخل الى دراسة آية التطهير المباركة.

١ـ عقبات في الطريق الى السنة النبوية:

وهذه العقبات كثيرة وسوف نشرح أهم مفرداتها التي توضح الأسباب التي أدت الى صعوبة تناول سنة رسول اللّه(ص) للأجيال التي توالت بعد صدر الاسلام الأول من بعد وفاة رسول اللّه(ص).

ومهما شككنا في شيء من أمر هذه المفردات التي سوف نشرحها، فاننا لانستطيع أن نشك في النتيجة التي تؤدي اليها هذه المفردات، وهي صعوبة الطريق الى السنة النبوية فيما عدا مساحة محدودة جدا من الروايات الصحيحة القطعية المروية عن رسول اللّه(ص)، وهي مساحة محدودة جداً بالنسبة الى السنة النبوية.

وفيما يلي نشير الى بعض هذه المفردات التي حالت بين المسلمين وبين سنة نبيهم(ص).

أ) عدم اهتمام الصحابة بضبط الحديث:

لم يكن للأصحاب اهتمام كبير بضبط حديث رسول اللّه(ص) وسننه بصورة دقيقة مما أدى الى ضياع كثير من معالم السنة النبوية بعد وفاة رسول اللّه(ص)، أو اختلافهم فيها في أشياء ظاهرة من حياة رسول اللّه(ص) لم تكن تخفى عليهم لو أنهم كانوا يعطونها شيئا من اهتمامهم في حياة رسول اللّه(ص)[١].

وأمثلة ذلك كثيرة في تاريخ الصحابة، فقد نسى عمر بن الخطاب ماكان يقرؤه رسول اللّه(ص) في صلاة العيدين مثلا، وكان يسأل عما ينبغي قراءته في صلاة العيدين من القرآن.

يقـول عبيد اللّه: (خرج عمر رضى اللّه عنه يوم عيد، فأرسل الى أبي واقد

الليثي: بأي شيء كان النبي(ص) يقرأ في مثل هذا اليوم، فقال بقاف، واقتربت)[٢].

وروى مسلم في الصحيح عن عبد الرحمن بن بزي عن أبيه: (انّ رجلا أتى عمر فقال اني أجنبت فلم أجد ماء، فقال: لاتصل، فقال عمار: أما تذكر ياأمير المؤمنين اذ أنا وأنت في سرية فأجنبنا، فلم نجد ماء فأما أنت فلم تصل. وأما أنا فتمعكت بالتراب وصليت، فقال النبي(ص): انما كان يكفيك أن تضرب بيدك الأرض ثم، تنفخ، ثم تمسح بهما وجهك وكفيك، فقال عمر: اتق الله ياعمار، قال: إن شئت لم أحدث به)[٣].

والشواهد على ذلك كثيرة لسنا بصدد استقصائها والتوسع فيها، وهي تدل من دون شك على أن أصحاب رسول الله(ص) لم يكونوا معنيين بحفظ مايسمعونه ويرونه من رسول الله(ص)، ولم يفكروا في حينه أن يعدوا أنفسهم لامامة المسلمين في الرواية والفتوى في الدين بعد رسول الله(ص).

وقد كان أصحاب رسول الله(ص) في المدينة كما يقول ابن حزم: (مشاغيل في المعاش لتعذر القوت عليهم لجهد العيش بالحجاز، وانه ـ يعني رسول الله ـ كان يفتي بالفتيا، ويحكم بالحكم فيمن حضره من أصحابه فقط، وإنّما قامت الحجّة على سائر من لم يحضره(ص) بنقل مَنْ حضره وهم واحد أو اثنان)[٤].

ولم يكن من عادة الصحابة أن يبادروا رسول الله(ص) بالسؤال في أمور الدين حتى أن بعضهم كان يترقب مجيء اعرابي من البادية ليسأل رسول الله عن أمر من الدين فيستمعون الى حديث رسول الله(ص).

يقول الامام علي بن أبي طالب(ع):

(وليس كل أصحاب رسول الله كان يسأله ـ أي يسأل رسول الله ـ عن الشَيء فيفهم، وكان منهم من يسأله ولا يستفهم، حتى انهم كانوا ليحبون أن يجيء الاعرابي أو الطارىء فيسأل رسول الله حتى يسمعوا)[٥].

وقد بلغ الأمر بأصحاب رسول الله(ص) حدوداً محرجة، حتى أنهم كانوا يحرجون بالسؤال عن أشياء لم تقع بعد، وليست موضع حاجة فعلية، ولايكتمون تضايقهم عن ذلك.

فقد كان عمر بن الخطاب يقول على المنبر: (احرج بالله على رجل سأل عما لم

يكن، فان اللّه قد بين ماهو كائن)..

ويقول أيضاً: (لايحل لأحد أن يسأل عما لم يكن. ان اللّه تبارك وتعالى قضى فيما هو كائن).

وكان ابن عمر يقول: (اني سمعت عمر بن الخطاب يلعن من سأل عما لم يكن).

وليس في الأمر من بأس أن يسأل الناس أصحاب رسول اللّه(ص) عن سنة رسول اللّه(ص) وحديثه في امور وقضايا تستقبل المسلمين فيما بعد وان كانت الآن ليست موضع حاجة فعلية، ليحفظوا للأجيال التي تأتي من بعد سنة رسول اللّه(ص) وحديثه ليكون لهم منهجا للعمل والحياة.

ليس في ذلك بأس، بالتأكيد، وانما الأمر كل الأمر أن أصحاب رسول اللّه(ص) لم يتفرغوا لتلقي الحديث عن رسول اللّه(ص) وضبطه ضبطا دقيقا، ولم يهيئوا أنفسهم، ليحملوا ميراث رسول اللّه(ص) من العلم الى الأجيال المقبلة ولم تكن مسألة اعداد من يحمل بعد رسول اللّه(ص) ميراث السنة الى المسلمين تخفى على رسول اللّه(ص) أويهملها رسول اللّه(ص)، وانما كان رسول اللّه(ص) قد خطط لهذا الشأن تخطيطا آخر بأمر من اللّه تعالى يمر علينا طي هذا الحديث.

ب) الاحجام عن تدوين سنة رسول اللّه(ص):

ولو أن المسلمين تنبهوا الى خطأهم في عدم ضبط السنة النبوية في حياة رسول اللّه(ص)، وتداركوا الأمر من بعد رسول اللّه(ص) بتدوين ماكان بأيديهم من حديث رسول اللّه(ص) وسنته لهان الأمر كثيرا، واستطاعوا أن يحفظوا لنا شطرا كبيراً من سنة رسول اللّه(ص) من الضياع والتلف.. وقد كان في المدينة المنورة بشكل خاص وفي الحواضر الاسلامية، بشكل عام، عدد كبير من العدول من أصحاب رسول اللّه(ص) ممن يعرفهم المسلمون بالصدق والاستقامة واتباع سنة رسول اللّه(ص).

الا أننا نلاحظ وبأسف كبير أن جمعا من كبار الصحابة كانوا ـ ولأسباب خافية علينا لحد الأن ـ يكرهون تدوين حديث رسول اللّه(ص)، ويعارضون ذلك، ويمعنون عنه أحيانا بصورة علنية ورسمية.

وكانوا يذكرون لهذاالاحجام والاكراه أسبابا وتبريرات تحن نشك اليوم في

واقعيتها وصحتها دون أن نُسريّ هذا الشك الى نياتهم.

فقد كانوا يبررون هذا المنع بأن تدوين السنة النبوية والاهتمام بها يؤدي الى الاعراض عن كتاب اللّه أو يؤدي الى خلط كتاب اللّـه بغيـره ، كما حدث في الأمم الماضية.

ونحن قد وجدنا أن المسلمين فيما بعد ـ وبعد فوات الكثير من الفرص ـ ضبطوا ماتبقى لهم من السنة النبوية، دون أن يؤدي ذلك الى الاعراض عن القرآن أو خلطه بغيره.

ومهما يكن من أمر فان اكراه جملة من كبار الصحابة عن تدوين حديث رسول اللّه(ص) أمـر ثابت ومتيقن تاريخياً، اثبتتـه السير والتواريخ ومصادر الحديث، ولامجال فيه للمناقشة، وما الحق ذلك بالفكر والثقافة الاسلامية من ضرر وخسارة كبـيرة نتيجـة ضياع شطر كبير من السنة النبوية أمر واضح هو الآخر، لايمكن المناقشة فيها والدفاع عنها.

وليس لنا مع هذا أو ذاك أن نشك في صدق نية أصحاب هذا الرأي في المنع عن تدوين سنـة رسـول اللّه(ص)، وان كنـا نسمـح لأنفسنا في مناقشة صحة وواقعيّة التبريرات التي ذكروها لذلك.

وقد ظهرت هذه الكراهة وهذا الاحجام عند جملة من الصحابة بعد وفاة رسول اللّه(ص) مباشرة، واتخذ صورة موقف ديني استمر حتى بداية القرن الثاني الهجري، كما سوف نرى، أحجم خلاله المسلمـون عن تدوين وتبويب، وتجميع سنة رسول اللّه(ص) في عمل علمي ومنظم، وان كان لاتخلوا الساحة الاسلامية يومذاك من عدد من الصحـابـة والتابعين لم يؤمنوا بهذا التوجه وجمعوا لنا ما أمكنهم من سنّة رسول اللّه(ص). واللّه تعالى، وحده، يعلم ما أصاب السنة النبوية من ضياع، وما أصاب المسلمين والثقافة الاسلامية من خسارة خلال هذه المدة.

وفيما يلي نذكر بعض الشواهد التاريخية على هذا الاتجاه والموقف الرسمي من حديث رسول اللّه(ص) وسنته.

روى الحاكم بسنده عن عائشة قالت: (جمع أبي الحديث عن رسول اللّه(ص) فكانت خمسمائة حديثا، فبات يتقلّب، قالت: فغمني كثيرا. فقلت: يتقلب لشكوى أو

لشيء بلغه. فلما أصبح قال: أي بنية: هلمي الأحاديث التي عندك، فجئته بها، فأحرقها. وقال: خشيت أن أموت، وهي عندك، فيكون فيها أحاديث عن رجل ائتمنته ووثقت به، ولم يكن كما حدثني، فأكون قد تقلدت ذلك).

وكان عمر بن الخطاب ينهى أصحاب رسول اللّه(ص) عن رواية حديث رسول اللّه(ص).

روى الحاكم عن قرظة بن كعب، قال: (خرجنا نريد العراق، فمشى معنا عمر ابن الخطاب الى صرار، فتوضأ، ثم قال أتدرون لم مشيت معكم قالوا: نعم نحن أصحاب رسول اللّه(ص) مشيت معنا. قال: انكم تأتون أهل قرية لهم دوى بالقرآن كدوي النحل، فلا تبدونهم بالأحاديث، فيشغلونكم. جردوا القرآن، وأقلوا الرواية عن رسول اللّه(ص))[٦].

وروى الحاكم أيضا بسنده عن سعد بن ابراهيم عن أبيه أن عمر بن الخطاب قال لابن مسعود ولأبي الدرداء ولأبي ذر: (ماهذا الحديث عن رسول اللّه(ص) وأحسبه حبسهم بالمدينة حتى أصيب)[٧].

وأخرج الطبراني عن ابراهيم بن عبد الرحيم أن عمر حبس ثلاثة: (ابن مسعود، وأبا الدرداء، وأبا مسعود الأنصاري، فقال: لقد أكثرتم الحديث عن رسول اللّه(ص)، حبسهم في المدينة حتى استشهد)[٨].

وقال أبو هريرة: (ماكنا نستطيع أن نقول: قال رسول اللّه(ص) حتى قبض عمر)[٩].

وقد الجأت الحاجة أصحاب رسول اللّه(ص) في عهد عمر الى كتابة حديث رسول اللّه(ص) فمنعهم عمر بن الخطاب عن ذلك.

قال السيوطي في تنوير الحوالك: (عن الزّهري، قال أخبرني عروة بن الزبير أن عمر بن الخطاب(رض) أراد أن يكتب السنن، فاستشار فيها أصحاب رسول اللّه(ص) فأشار عليه عامتهم بذلك، فلبث عمر شهر يستخير اللّه تعالى في ذلك شاكا فيه، ثم أصبح يوما، وقد عزم تعالى له، فقال: اني كنت قد ذكرت لكم من كتابة السنن ماقد علمتم ثم تذكرت، فاذا أناس من أهل الكتاب قبلكم قد كتبوا مع كتاب اللّه كتباً فأكبوا عليها وتركوا كتاب اللّه، واني واللّه لا ألبس كتاب اللّه بشيء، فترك

كتابة السّنن)[١٠].

وبدأ الاهتمام بتدوين السنة عند المسلمين في نهاية خلافة عمر بن عبد العزيز[١١].

قال السيوطي: وأخرج الهروي في ذم الكلام من طريق يحيى بن سعيد عن عبـد اللّه بن دينار، قال: لم يكن الصحابة ولاالتابعون يكتبون الحديث، انما كانوا يؤدونها لفظا ويأخذونها حفظا، الا كتاب الصدقات والشيء اليسير الذي يقف عليه الباحث بعد الاستقصاء حتى يخيف عليه الدروس وأسرع في العلماء الموت فأمر أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز أبا بكر الحزمي فيما كتب اليه أن انظر ماكان من سنة أو حديث عمر فاكتبه[١٢].

وقال مالك في الموطأ برواية محمد بن الحسن أنبأنا يحيى بن سعيد أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أن انظر ماكان من حديث رسول اللّه(ص) أو سنته أو حديث عمر أو نحو هذا فاكتبه لي فإنّي خفت دروس العلم، وذهاب العلماء. علقه البخاري في صحيحه وأخرجه أبو نعيم في تاريخ أصبهان بلفظ كتب عمر بن عبد العزيز الى الآفاق: حديث رسول اللّه(ص) فاجمعوه[١٣].

وأخرج ابن عبد البر في التمهيد من طريق ابن وهب قال: سمعت مالكا يقول: كان عمر بن عبد العزيز يكتب الى الأمصار يعلمهم السنن والفقه، ويكتب الى المدينة يسألهم عما مضى وأن يعملوا بما عندهم، ويكتب الى أبي بكر بن عمر بن حزم أن يجمع السنن ويكتب اليه بها، فتوفى عمر وقد كتب ابن حزم كتبا قبل أن يبعث بها اليه.

قال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري عقب التعليق السابق: يستفاد من هذا ابتداء تدوين الحديث النبوي ثم أفاد أن أول من دونه بأمر عمر بن عبد العزيز ابن شهاب الزهري[١٤].

وقال ابن حجر العسقلاني: ان آثار النبي(ص) لم تكن في عصر أصحابه وكبار تبعهم مدونة في الجوامع ولا مرتبة لأمرين أحدهماانهم كانوا في ابتداء الحال قد نهوا عن ذلك، كما في صحيح مسلم، خشية أن يختلط ذلك او بعض ذلك بالقرآن العظيم، وثـانيهما لسعة حفظهم وسيلان أذهانهم، ولأن أكثرهم كانوا لايعرفون الكتابة، ثم حدث في أواخـر عصر التابعين تدوين الآثار وتبويب الأخبار لما انتشر العلماء في

الأمصار وكثر الابتداع مئ الخوارج والروافض ومنكري الأقدار، فأول من جمع ذلك الربيع بن صبيح وسعيد بن أبي عروبة وغيرهما، وكانوا يصنفون كل باب على حده الى أن قام كبار أهل الطبقة الثالثة فدونوا الأحكام فصنف الامام مالك الموطأ، وتوخى فيه القوي من حديث أهل الحجاز. الى أن رأى بعض الأئمة منهم أن يفرد حديث النبي(ص) خاصة وذلك على رأس المتتين[١٥].

ومما تقدم يظهر:ـ

أ ـ إن الصحابة كانوا لايكتبون الحديث عن رسول اللّه(ص) أو على الأقل لم يصلنا من الصحابة كتاب في الحديث.

ب ـ وازدادت الحاجة الى تجميع وتدوين الحديث في خلافة عمر بن الخطاب، الا أن الخليفة لم يرضخ لهذا الأمر، وأبى على المسلمين أن يجمعوا ويدونوا الحديث، واعتذر لهم بأن هذا الحديث قد يخلط بالقرآن أو قد يشغل الناس عن كتاب اللّه.

ج ـ ونتيجة لاهمال السلطة الرسمية لأمر تدوين حديث رسول اللّه(ص) فقد استغل الوضاعون للحديث رواية الحديث وشاعت البدع بين المسلمين.

د ـ كما ان الحروب المستمرة التي خاضها المسلمون ضد البلاد المجاورة من ايران والشام والعراق وغيرها أدت الى استشهاد عدد كبير جداً من حملة العلم من أصحاب رسول اللّه(ص) وتابعيهم باحسان وضاع كثير من الحديث بموت الأصحاب والتابعون من العلماء حتى كاد أن يضيع ميراث رسول اللّه(ص) من العلم.

هـ ـ فبادر عمر بن عبد العزيز الخليفة الأموي الى تدارك الموقف والاحتفاظ ببقية ما احتفظ به التابعون من حديث رسول اللّه(ص)، وكان ذلك في رأس المائة الثانية لأن عمر بن عبد العزيز تولى الحكم في ٩٩ هـ ومات سنة ١٠١ هـ .

فكتب الى أبي بكر بن حزم أن يجمع حديث رسول اللّه(ص) وسننه، لكن عمر مات قبل أن يفرغ أبو بكر بن حزم من وضع هذه الكتب.

و ـ وبموت عمر مات المشروع ، ثم عاد بعد ذلك على يد محمد بن مسلم بن شهاب الزهري[١٦] بأمر من هشام بن عبد الملك.

ثم شاع التدوين في الطبقة التي جاءت من بعد الزهري. وعلى نحو العموم فان (أول تدوين للسنن بالمعنى الحقيقي يقع مابين سنة ١٢٠ هـ وسنة ١٥٠ هـ)[١٧].

وبوسع القارىء بعد ذلك أن يتصور مدى مالحق الحديث النبوي من ضياع وتلف خلال هذه الفترة الطويلة التي امتدت تقريبا الى بداية القرن الثاني من الهجرة النبوية.

فقد ضاع خلال هذه الفترة الطويلة والأساسية في نقل ميراث النبوة.. الكثير من سنة رسول اللّه(ص) وحديثه، وماحفظ الصحابة والتابعون من حديث رسول اللّه(ص) لم يكن يسد بالتأكيد حاجة المسلمين الى معرفة أحكام اللّه تعالى، ولم يكن يغني المسلمون فيما يحتاجونه من الأحكام الالهية.

ج) مشكلة الوضع والوضاعين:

كان من الطبيعي أن يجد أصحاب المطامع في الدنيا في وضع الحديث على رسول اللّه(ص) ارضاء لمطامعهم فيكثروا من وضع الحديث، حتى أصبح من الصعب تمييز صحيحه عن سقيمه ورغم كل الجهود التي بذلها أئمة الحديث فقد دخل في الحديث شيء كثير من الموضوع، كما ودخل أيضا شيء كثير من الحديث الصحيح في الضعيف الذي أهمله علماء الحديث لعدم توفر شروط الرواية فيها بالقدر الكافي وأدى ذلك الى كثير من الاختلاف في الفتوى والرأي وضياع كثير من الأحاديث، وتسرب الكذب والوضع حتى الى الكتب المعتبرة في الحديث، مما أدى الى اشتباه الصحيح بالموضوع في كثير من الأحوال.

وقد بلغ الحديث الموضوع على لسان رسول اللّه(ص) حدا كبيرا يفوق التصور.

حتى كان البخاري ـ صاحب الصحيح ـ يقول: (أحفظ مائتي ألف حديث غير صحيح)[١٨].

واسحاق بن ابراهيم كان يقول: (إنه حفظ أربعة آلاف حديثا مزورة)[١٩].

وذكر العجلوني في خاتمة كتابه (كشف الخفاء) جملة من الموضوعات والوضاعين والكتب المزورة وعد في صفحة ٤١٩ ـ ٤٢٤ مائة باب أكثرها في الفقه، وقال بعد كل باب لم يصح فيه حديث أو ليس فيه حديث صحيح وما يقرب من ذلك[٢٠].

وروى مسلم عن أبي هريرة، أنه قال: (قال رسول اللّه(ص) يكون في آخر الزمان دجالون كذابون يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فاياكم

وإياهم لايضلونكم ولا يفتنونكم)[٢١].

ولربما كان يتصدى لوضع الحديث رجال يذكرونهم الناس بالصلاح والتقوى وكان لبعضهم رأي في تبرير الوضع لو كانت الغاية ترقيق قلوب الناس في المواعظ وترغيبهم الى الأعمال الصالحة وترهيبهم من عقاب اللّه تعالى.

وروى مسلم عن محمد بن يحيى بن سعيد القطان عن أبيه قال: (لم نر الصالحين في شيء أكذب عنهم في الحديث)[٢٢].

وروى مسلم عن ابن أبي الـزنـاد عن أبيه قال: (أدركت بالمدينة مائة كلهم مأمونو ن ما يؤخذ عنهم الحديث)[٢٣].

ومن أطـرف ماروي في وضع الحديث ماحكاه الملا علي القارىء في (الأسرار المرفوعة) قال: (روي أنه صلى أحمد بن حنبل ويحيى بن معين في مسجد الرصافة، فقـام بين أيديهم قاص فقـال: حدثنا أحمد بن حنبل ويحيى بن معين قالا: حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن أنس قال: قال رسو ل اللّه(ص): (من قال لا الـه الا اللّه خلق اللّه تعـالى من كل كلمة منها طيرا منقاره من ذهب وريشه من مرجان)، وأخذ في قصته نحوا من عشرين ورقة.

فجعل أحمد بن حنبل ينظر الى يحيى ويحيى ينظر الى أحمد فقال لهْ: أنت حدثته بهذا فقال: واللّه ماسمعت بهذا الا الساعة.

فلما فرغ من قصته وأخذ العطيات ثم قعد ينتظر بقيتها فقال له يحيى بن معين بيده، تعال ، فجاء متوهما للنوال فقال له يحيى: من حدثك بهذا الحديث.

فقال: أحمد بن حنبل ويحيى بن معين.

فقال: أنا يحيى بن معين وهذا أحمد بن حنبل ماسمعنا بهذا قط في حديث رسو ل اللّه(ص) فان كان ولابد من الكذب فعلى غيرنا.

فقال له: أنت يحيى بن معين؟

قال: نعم.

قال: لم أزل أسمع أن يحيى بن معين أحمق، ما تحققته الا الساعة.

فقال له يحيى: كيف علمت انني أحمق.

قال: كأنه ليس في الدنيا يحيى بن معين وأحمد بن حنبل غيركما. قد كتبت نحو

سبعة عشر أحمد بن حنبل ويحيى بن معين.

فوضع أحمد كمه على وجهه، وقال: دعه يقوم فقام كالمستهزىء بهما)[٢٤].

وبهذا النحو يرى الباحث أن الوضاعين قد بدأوا لأغراض كثيرة لايسعنا هنا استعراضها بوضع الحديث على رسول اللّه(ص) منذ وفاة رسول اللّه(ص) الى مابعده من العصور.

ويكفي للدلالة على ضخامة موجة الوضع أن نعلم أن أبا داود قد أتى في سننه بـ ٤٨٠٠ حديثا تقريباً انتخبه من خمسمائة ألف حديث.

وصحيح البخاري يحتوي على ٢٧٦١ حديثا مع اسقاط المكررات قد اختاره البخاري من بين ٦٠٠٠٠٠ حديث تقريبا[٢٥].

وروى أحمد في مسنده ٣٠٠٠٠حديثا انتخبه من أكثر من ٧٥٠٠٠٠ حديثا، وكان يحفظ ألف ألف حديث.

وكتب أحمد بن الفرات المتوفى ٢٥٨ هـ ألف ألف وخمسمائة ألف حديث فأخذ من ذلك ثلاثمائة ألف في التفسير والأحكام والقواعد وغيرها[٢٦].

ومهما بالغ علماء الحديث في تصفية الحديث النبوي من الموضوعات فقد دخل بلاشك كثير من الحديث الموضوع في كتب الحديث المعتبرة والذي يعمل بموجبه المسلمون وتسلل كثير من هذا الحديث الى الاسناد التي لايمكن أن يشك فيها المحدث.

وقد كان الوضاعون يعملون أحيانا بدقة متناهية، ويدسّون الحديث فيما بين الطرق والأسانيد المعتبرة بدقة فائقة، يصعب تمييزها عن الصحيح حتى على رجال الاختصاص في الفن.

وفي مقابل ذلك، فقد أعرض رجال الحديث عن كثير من الحديث الصادق الصادر عن رسول اللّه(ص) لعدم توفر شروط الصحة في نقله. ونتيجة هذا وذاك أن ضاع واختلط كثير من سنة رسول اللّه(ص) وأصابت المسلمين خسارة في ميراثهم من رسول اللّه(ص).

٢ـ كيف ذلّل المسلمون الطريق إلى الحكم الشرعي

ولهذه الأسباب ولأسباب كثيرة أخرى، واجه المسلمون بعد وفاة رسول اللّه(ص) مشكلة النقص في ميراثهم التشريعي من السنة النبوية.

ولسنا نحتاج في اثبات هذه الدعوى الى اقامة مزيد من الأدلة والشواهد، فان لجوء المسلمين الى الرأي والاجتهاد والقياس والاستحسان بعد رسول اللّه(ص) مباشرة تدل دلالة واضحة على هذه الحقيقة.

فلم يكن فقهاء المسلمين يلجأون الى الرأي والاجتهاد لولا ذلك، وأفضل مايقال في تعريف الاجتهاد انه الأخذ بالحجج الشرعية لتحصيل الحكم الشرعي أو الوظيفة العملية للمكلف سواء كانت شرعية أو عقلية.

وبغض النظر عن المناقشات والمؤاخذات الكثيرة على الكثير من مسالك الاجتهاد فان الاجتهاد.لايمنح المجتهد من حجية الحكم الذي يفتي به.

وحجية الحكم لاتعني أكثر من التنجيز والتعذير أمام اللّه، تنجيز الحكم وتثبيته على ذمة المكلف ومعذوريته بين يدي اللّه في حالة خطأ رأي المجتهد وعدم اصابته للحكم الواقعي.

فان المجتهد يبذل أقصى ماني وسعه معتمدا على الحجج الشرعية لاستنباط الحكم الشرعي أو الوظيفة العملية في حدود الأدلة المتوفرة لديه. وهذا المقدار وحده لايكفي في احراز الحكم الشرعي الواقعي، وانما ينفع في تنجز الحكم على المكلف وتعذيره فقط، وهو معنى (الحجية). وحجية الحكم شيء آخر غير واقعية الحكم.

وأقصى مايستطيع أن يحرزه الفقيه، بعد بذل أقصى مايستطيع من الجهد في الاستنباط، وبعد سلامة مسالك الاجتهاد: ان الحكم الذي استخرجه حجة شرعا

دون أن تكون له طريق الى إحراز انه هو حكم اللّه الواقعي الذي شرعه لعباده.

فالحجية إذن في الاجتهاد قطعية الا أن مطابقة الأحكام التي يستنبطها الفقيه لأحكام اللّه الواقعية التي شرعها لعباده ظنية ولايستطيع الفقيه أن يقطع بأنها هي أحكام اللّه قطعا، وليس له الا الظن بالموافقة والمطابقة.

ومن أجل ذلك وردت في بعض تعاريف الفقهاء للاجتهاد كلمة (الظن) كما ينقل عن الآمدي وغيره.

قال الآمدي في تعريف الاجتهاد: (هو في الاصطلاح استفراغ الوسع في طلب الظن بشيء من الأحكام الشرعية، على وجه يحسّ من النفس العجز عن المزيد عليه)[٢٧].

والظن المأخوذ في تعريف الآمدي ليس في أصل الحجية يقينا، وانما في مطابقة الاجتهاد للأحكام الالهية الواقعية، وفي اصابة الأحكام الواقعية.

فالاجتهاد، اذن، لايزيد على أن يكون ظناً بمطابقة ماتؤدي اليه الأدلة الشرعية للأحكام الالهية الواقعية، وليس في وسع الفقيه أكثر من الظن بالحكم الشرعي وهو ان كان ظنا معتبرا من الناحية الشرعية، الا انه لايضمن مطابقة الفتوى للحكم الشرعي الواقعي دائما، بل ان الفقيه ليعلم ان الحالات التي يخطىء فيها الحكم الالهي في الوقائع ليست بالقليلة. وأدل شيء على ذلك اختلاف فتاوى المجتهدين في الرأي، فانها جميعا لايمكن أن تكون مطابقة لحكم اللّه تعالى، وفي أحسن الفروض فان رأيا واحدا منها يطابق حكم اللّه الواقعي والآراء الأخرى تخطئه.

والمجتهد وان كان معذورا في هذا الخطأ، إلّا أنّ الخطأ يبقى دائمًا، رغم العذر خطأ.

وأقل مافي هذا الخطأ انه يفوّت على المكلف المصالح الحقيقية المترتبة على أحكام اللّه الـواقعية، ويعرضه لأضرار كثيرة لايمكنه أن يتجنبها مهما كان عذره في عدم اصابة حكم اللّه الواقعي، فان هذه الأعذار وان كانت تنجيه من العقاب الالهي في الآخرة ولكنها لاتغير ولاتبدل الآثار الطبيعية النابعة عن امتثال أحكام اللّه تعالى ومخالفتها.

ولاشك أن تشريع هذه الأحكام من لدن اللّه تعالى يقوم على أساس من سلسلة متشـابكـة ومَترابطة من المصالح الحقيقية التي يعلمها اللّه تعالى في حياة الانسان

الفردية والاجتماعية، ولا يعلمها العباد.

وأول أثر لهذا الخطأ الذي يعذر اللّه تعالى صاحبه في الآخرة عليه أنه يحرم من الآثـار الـطبيعية المترتبة على الأحكام الالهية في حياته الدنيا وفي تكامله النفسي والروحي للآخرة، ويتعرض للأخطار والأضرار الطبيعية النابعة عن ترك أحكام اللّه، مهـما كان عذره في هذا الترك. وهذه المصالح وتلك الأضرار لاعلاقة لها بمعذورية المكلف بحال من الأحوال، فهي تؤثر أثرها مهما كان عذر المكلف.

فالسم الذي يتناوله الجاهل، المعذور في جهله يقتله وان كان معذورا في فعله، ولايعاقبه اللّه على عمله ولايعد عمله من الانتحار المحرم، الا أن السم يبقى سما قاتلا رغم كل شيء.

وكذا علاقة الأحكام الالهية الواقعية بآثارها الطبيعية الناشئة عنها.

فاجتهاد المجتهدين مهما كان حجة يقينه فهو ظني المطابقة للأحكام الواقعية الالهية.. وبذلك فانه يفوّت على المكلفين كثيراً من المصالح الدنيوية والأخروية التي من أجلها شرعها اللّه.

ونريد أن نتساءل هنا سؤالا حساسا دون أن نقف عند هذا السؤال طويلا لئلا تنقطع علينا سلسلة الاحاديث التي نتابعها في هذا البحث. وذلك:

هل يمكن أن يترك اللّه عباده بعد رسول اللّه(ص) وهو اللطيف بعباده، وقد كتب على نفسه الرحمة من غير دليل يدلهم بوضوح على طريق مستقيم الى أحكامه الحقيقية من غير انحراف أو خطأ أو شك أو ترديد، وبشكل مضمون الصحة ومقطوع النتيجة كما كان تعالى قد هدى عباده الى هذا الدليل وفتح عليهم هذا الباب في حياة نبيه(ص) وفي شخص رسوله الكريم(ص) فكان المسلمون إذا التبس عليهم أمر أو واجهـوا واقعـة سألوا رسول اللّه(ص) عن حكم ذلك فأعطاهم (ص) حكم اللّه الحقيقي من دون لبس أو ترديد أو غموض.

فهل يمكن أن يترك اللّه عباده بعد رسول اللّه(ص) للفروض والاحتمالات والظنون والشكوك والمخالفات مهما كان عذر المكلفين في ذلك، دون أن يأخذ بأيديهم الى المعين الصافي الذي يأخذون منه دين اللّه تعالى صافياً نقيا وهو الذي وسعت رحمته كل شيء وكتب على نفسه الرحمة.

وكيف يمكن أن يترك عباده للآراء والاجتهادات التي تصيب الحق حينا وتخطئه أحيانا مهما كان عذر المكلف.

ونحيل الجواب الى القارىء ونتجاوز السؤال والجواب معاً ونتساءل:

٣ـهل فتح الاسلام طريقاً الى السنة النبوية للاجيال اللاحقة؟

الاجتهاد في مقابل النص

مهما يقال في حجية هذا الاجتهاد بعد رسول اللّه(ص) وفي صحة هذا الاتجاه.. فلا شك عند أحد من المسلمين أن هذا الاجتهاد والرأي مهما كان شكله فلايصح ولا يستقيم عند وجود النص الشرعي، فلا اجتهاد في قبال النص مطلقا، وباجماع المسلمين فان الاجتهاد ينتفي موضوعه ومورده عند وجود النص الجلي الواضح على الحكم الشرعي لأن الاجتهاد كما يظهر من نفس الكلمة بذل الجهد في تحصيل الحكم الشرعي أو الوظيفة الشرعية، فاذا كان الدليل على الحكم الشرعي حاصلا بنص جلي واضح من مصدر مؤكد فلا تبقى ثمة حاجة الى الاجتهاد، ولا معنى له على الاطلاق، ولذلك فان من المتفق عليه بين المسلمين ان الاجتهاد في مورد النص باطل.

ونقصد بالنص المصدر الشرعي، الذي يضمن شرعا وبصورة أكيدة بيان الحكم الالهي، من غير خطأ أو انحراف أوشك أو ترديد، كما في الكتاب الكريم والسنة النبوية الصحيحة والمبينة.

فان صح وجود مثل هذا المصدر بعد رسول اللّه(ص) فلا يجوز بالتأكيد في مثل هذه الحالة أن يلجأ أحد الى الاجتهاد والرأي بكل أساليبه وأنواعه.

وها نحن نأخذ بيد القارىء مستعينين باللّه تعالى، مسترشدين به، لنرى هل جعل اللّه تعالى للمسلمين (مصدرا حيا) لدينه بعد رسوله(ص) وامتدادا لسنّة رسول اللّه(ص) ليلجأوا اليه فيما أهمهم من أمور دينهم ودنياهم، أم تركهم للرأي والاجتهاد..

وهل هناك من مصدر مفتوح بعد كتاب اللّه، وبعد وفاة رسول اللّه(ص) للسنة النبوية يرجع اليه المسلمون متى شاؤوا، وهل خلف رسول اللّه(ص) من بعده مصدرا

مفتوحاً لسنته يهتدي به المسلمون الى شريعة اللّه أم أن السنة النبوية قد انقطعت عن المسلمين بعد وفاة النبي(ص)، ولاسبيل لهم اليها إلا فيما رواه الصحابة من أحاديث رسول اللّه(ص)، وقد عرفنا من قبل حال هذه الروايات ومايلابسها من مشكلات تاريخية لاتجعل الرجوع اليها ميسورا في كثير من الأحوال، ذلك مانحاول الاجابة عليها فيما يأتي من هذا البحث.

إن شاء اللّه...

إمامة أهل البيت(ع)

نظرة عامة الى سيرة رسول اللّه(ص) وسنته تكفي ليطمئن الانسان الى أن النبي(ص) كان مكلفا من جانب اللّه تعالى للاعداد لخلافة أهل بيته (عليهم السلام) من بعده في أمته لأمور دينهم ودنياهم.

وكان رسول اللّه(ص) يسعى في هذا الأمر، ويعمل كل مايمكنه لاعداد الأمة للرجوع الى أهل البيت من بعده في أمور دينهم ودنياهم، ويعمل كذلك لاعداد علي ابن أبي طالب(ع) من أهل بيته ليكون من بعده مرجعا وملاذاً للمسلمين لمعرفة دينهم ومايشتبه عليهم وما يجهلونه من أمور دينهم ومصدرا من بعده يأخذون عنه سنته.. وقد تكرر منه (ص) توجيه الأمة الى الرجوع الى أهل البيت(ع) في أكثر من موقع وفي أكثر من مناسبة، وكان (ص) يظهر اهتماما أكثر في ذلك كلما دنا به الأجل.

وليس في الامكان أن نستعرض كل الأحاديث والمواقف التي وقفها النبي(ص) في توجيه الأمـة الى أهل بيته الا أننا نستعرض نماذج من ذلك استعراضا سريعا لننتهي بعد ذلك الى مانحن بصدده من الحديث عن آية التطهير.

١ـ حديث الثّقلين: ورد هذا الحـديث في روايات كثـيرة، ويبـدو أن رسـول اللّه(ص) تحدث به في أكثر من موضع ورواه أئمة الحديث والتفسير والتاريخ بألفاظ مختلفة، ونحن ننقل الحديث ببعض ألفاظه الواردة في كتب الحديث.

(أيها الناس انما أنا بشر أوشك أن أدعى فأجيب، واني تارك فيكم الثقلين ما ان تمسكتم بهما (أو ما ان اعتصمتم بهما) لن تضلوا أبداً ـ وهما: كتاب اللّه وعترتي أهل بيتي ـ أحدهما أثقل من الآخر، وانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض، فاتقوا اللّه وانظروا كيف تخلفوني (أو كيف تحفظوني) فيهما (أو أن اللطيف الخبير أخبرني انهما

لن يفترقا حتى يلقياني) فلا تسبقوهم فتهلكوا، ولا تعلموهم فانهم أعلم منكم، وتوشكون أن تردوا علي الحوض وأسألكم حين تردون علي عن الثقلين كيف خلفتموني فيهما، فمن استقبل قبلتي وأجاب دعوتي فليستوص بهم خيرا).

وهذا الذي رويناه مزيج من بعض ألفاظ الحديث، ومن يريد الوقوف على كل ألفاظ الحديث، فليراجع الرسالة القيمة التي أصدرتها دار التقريب بين المذاهب الاسلامية في هذا الحديث[٢٨].

وقد ورد هذا الحديث ببعض ألفاظه في صحيح مسلم (ج ٧/ ص ١٢٢)، وسنن الترمذي (ج ٢/ص ٣٠٧)، وسنن الدارمي (ج ٢/ص ٤٣٢)، ومسند أحمد بن حنبل (ج ٣/ ص ١٤ و٢١٧)، وص ٢٦ و٥٩، و(ج ٤/ص ٣٦٦ وص ٣٧١)، وأيضا في (ج ٥/ص ١٨٢ و١٨٩)، وخصائص النسائي (ص ٣٠)، ومستدرك الحاكم (ج ٣/ص ١٠٩ و١٤٨ و٥٣٣)، والحافظ الكنجي الشافعي في كفاية الطالب في الباب الأول (ص ١١) في بيان صحة خطبته بماء يدعى خما، قال بعد نقل الحديث: أخرجه مسلم في صحيحه، ورواه أبو داود وابن ماجة القزويني في كتابيهما، وأيضا في الباب الحادي والستين (ص ١٣٠)، والطبقات لمحمد بن سعد الزهري البصري في الرابع (ص ٨)، والحلية لأبي نعيم الاصبهاني (ج ١/ص ٣٥٥)، وأسد الغابة لابن الأثير الجرزي في (ج ٢/ص ١٢)، وفي (ج ٣/ص ١٤٧)، والعقد الفريد لابن عبد ربه القرطبي في الجزء الثاني في خطبة النبي(ص) في حجة الوداع (ص ٣٤٦ وص ١٥٨)، وتذكرة الخواص في الباب الثاني عشر (ص ٣٣٢) لابن الجوزي، قال بعد نقل قول جده: (وقد أخرجه أبو داود في سننه والترمذي أيضا وذكره رزين في الجمع بين الصحاح)، والعجب كيف خفي عن جدي ماروى مسلم في صحيحه من حديث زيد بن أرقم الخ...، وانسان العيون لنور الدين الحلبي الشافعي (ج ٣/ص ٣٠٨)، وذخائر العقبى لأحمد بن عبد اللّه الطبري (ص ١٦)، والسراج المنير للعزيزي الشافعي في شرح الجامع الصغير للسيوطي (ج ١/ ص ٣٢١)، وفي هامشه أيضا للشيخ محمد الحنفي، والفصول المهمة لابن الصباغ المالكي (ص ٢)، ونسيم الرياض لشهاب الدين الخفاجي (ج ٣/ص ٤١٠)، وفي هامشه شرح الشفا لعلي القاري، ومنتخب كنز العمال للمتقي على هامش المسند للامام أحمد بن حنبل

(ج ١/ص ٩٦ و١٠١)، و(ج ٢/ص ٣٩٠)، و(ج ٩٥/٥)، والكشف والبيان للثعلبي في تفسير آية الاعتصام (ج ٣/ص ١٨)، وتفسير النظام للنيسابوري في تفسير آية الاعتصام (ج ١/ص ٢٥٧)، و(ج ٤) في تفسير آية المودة/ص ٩٤، وأيضا في تفسير آية (سنفرغ لكم أيها الثقلان) (ص ٢١٢)، وابن كثير الدمشقي في تفسير آية المودة (ج ٤/ص ١١٣)، وفي آية التطهير (ج ٣/ص ٤٨٥)، وأيضا في تاريخه في (ج ٥) أو (ج ٦) ضمن حديث الغدير، والمواهب العلية لحسين الكاشفي في تفسير آية (سنفرغ لكم أيها الثقلان)، والنهاية لابن الأثير الجرزي في (ج ١)، وأيضا في الدر المنثورللسيوطي (ص ١٥٥)، ولسان العرب لجمال الدين الأفريقي المصري في (ج ٦) في لغة العترة، وفي (ج ١٣) في لغة الثقل والحبل والقاموس لمجد الدين الشيرازي في لغة ثقل، ومنتهى الأرب لعبد الرحيم الصفي في لغة الثقل، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي في (ج ٦) في معنى العترة (ص ١٣٠)، ومدارج النبوة لعبد الحق الدهلوي (ص ٥٢٠) والمناقب المرتضوية لمحمّد صالح الترمذي الكشفي(ص ٩٦و٩٧ و١٠٠ و٤٧٢)، ومفتاح كنوز السنة (ص ٢ و٤٤٨)، ومصابيح السنة للامام البغوي الشافعي (ج ٢/ص ٢٠٥ ـ ٢٠٦)، وابن حجر في الصواعق (ص ٧٥ و٨٧ و٩٩ و٩٠ و١٣٦)، واسعاف الراغبين بهامش نور الأبصار للشبلنجي (ص ١١٠)، وينابيع المودة لسليمان بن ابراهيم البلخي الحنفي (ص ١٨ و٢٥ و٣٠ و٣٢ و٣٤ و٩٥، و١١٥ و١٢٦ و١٩٩ و٢٣٠ و٢٣٨ و٣٠١)، والعلامة الكبير شمس سماء العلم والجلالة ومجدد مذهب الامامية، السيد مير حامد حسين الهندي، أعلى اللّه مقامه، قد رواه عن جماعة تقرب من المائتين من أكابر علماء المذاهب من المائة الثانية الى المائة الثالثة عشرة، وعن الصحابة والصحابيات، أكثر من ثلاثين رجلا وامرأة كلهم رووا هذا الحديث الشريف عن النبي(ص)[٢٩]، وفي هذا الحديث:ـ

١ـ يجعل رسول اللّه(ص) أهل بيته صنوا للقرآن لايفترقان حتى يردا عليه الحوض يوم القيامة.

٢ـ ويعتبر التمسك بهما عاصما من الضلال.

٣ـ ويوصي المسلمين بالتمسك والاعتصام بهما.

٤ـ ويوصيهم أن لايعلمونهما ولايسبقونهما في قول أو فعل فانهما أعلم منهم.

وفي بعض ذلك كفاية في الدلالة على عصمة أهل البيت(ع)، وفي اثبات خلافتهم لرسول اللّه والزام المسلمين بالرجوع اليهم عليهم السلام في الحلال والحرام، وفي حدود اللّه تعالى وأحكامه.

٢ـ حديث السفينة:

عن حنش الكناني، قال سمعت أبا ذريقول وهو آخذ باب الكعبة: أيها الناس من عرفني فأنا من عرفتم، ومن أنكرني فأنا أبو ذر، سمعت رسول اللّه(ص) يقول:

(مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق).

قال الحاكم في مستدرك الصحيحين (ج ٢/ص ٣٤٣): هذا حديث صحيح على شرط مسلم. ورواه الحاكم أيضا في (ج ٣/ص ١٥٠) عن طريق حنش أيضا، وأخرجه المتقي في كنز العمال بنفس الطريق (ج ٦/ص ٢١٦)، وأخرجه الهيثمي في المجمع (ج ٩/ص ١٦٨)، وأخرج الحديث في حلية الأولياء (ج ٤/ص ٣٠٦) بسنده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس. وأخرجه بنفس الطريق الهيثمي في المجمع (ج ٩/ص ١٦٨)، وأخرجه المحب في الذخائر (ص ٢٠) بنفس الطريق، والمتقي في كنز العمال (ج ٦/ص ٢١٦). وأخرج الخطيب البغدادي الحديث عن طريق أنس بن مالك في تاريخه (ج ١٢/ص ١٩). وأخرج الحديث السيوطي في الدر المنثور في تفسير قوله تعالى ﴿وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم﴾ عن طريق ابن أبي شيبة عن علي بن أبي طالب(ع). وأخرجه عن طريق علي بن أبي طالب في كنز العمال (ج ٦/ص ٢٥٠)، وأيضا في (ج ٦/ص ٢١٦). وأخرجه الهيثمي في المجمع (ج ٩/ص ١٦٨) عن طريق أبي سعيد الخدري. وأخرجه المحب الطبري في ذخائر العقبى (ج ٢٠) عن علي(ع)، كما أخرجه المناوى في كنوز الحقائق (ص ١٣٢)[٣٠].

٣ـ حديث مدينة العلم:

عن حذيفة عن علي(ع) مرفوعا الى رسول اللّه(ص):

(أنا مدينة العلم وأنت بابها، كذب من زعم أنه يصل الى المدينة الا من قبل

الباب).

وعن الحرث وعاصم عن علي(ع) مرفوعا الى رسول اللّه(ص):

(أنا مدينة العلم وعلي بابها، ولاتؤتى البيوت الا من أبوابها).

وفي لفظ له (ص):

(أنا مدينة العلم وأنت بابها، كذب من زعم أنه يدخل المدينة الا من قبل الباب).

وعن ابن عباس عن رسول اللّه(ص):

(أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد العلم فليأت بابه)[٣١].

روى الحديث الحاكم في المستدرك (ج ٣/ص ١٢٦ و١٢٧ و١٢٨)، وابن كثير في تاريخه (ج ٣/ص ٣٥٨)، والخطيب في تاريخ بغداد (ج ٢/ص ٣٧٧)، والذهبي في التذكرة (ج ٤/ص ٢٨)، والخوارزمي في المناقب (ص ٤٩)، وابن الأثير الجرزي أخرجه في أسد الغابة (ج ٤/ص ٢٢)، ومحمد بن طلحة الشافعي في مطالب السؤول (ص ٢٢)، وسبط ابن الجوزي في التذكرة (ص ٢٩)، والكنجي الشافعي في الكفاية (ص ٩٨ ـ ١٠٢)، والمحب الطبري في الرياض النضرة (ج ١/ص ١٩٢)، وذخائر العقبى (ص ٧٧)، والحافظ شمس الدين بن أحمد الذهبي ذكره في تذكرة الحفاظ (ج ٤/ص ٢٨)، ثم قال هذا الحديث صحيح، والهيثمي في مجمع الزوائد (ص ١١٤)، وابن حجر العسقلاني في تهذيب التهذيب (ج ٧/ص ٣٣٧)، وقال في لسان الميزان: هذا الحديث له طرق كثيرة في مستدرك الحاكم أقل أحوالها أن يكون للحديث أصل، وابن الصباغ المالكي في الفصول المهمة (ص ١٨)، وبدر الدين محمود بن أحمد الحنفي في عمدة القارىء (ج ٧/ص ٦٣)، والسيوطي في الجامع الصغير (ج ١/ص ٣٧٤)[٣٢].

وصحح الحديث نفر من أئمة الحديث ذكرهم الشيخ عبد الحسين الأميني في الغدير[٣٣].

وهناك أحاديث أخرى بهذا المضمون وردت عن رسول اللّه(ص) ذكرها الحجة المجاهد الشيخ عبد الحسين الأميني في الغدير[٣٤]، ننقلها عنه:

عن رسول اللّه(ص): (أنا دار الحكمة وعلي بابها)[٣٥].

وعنه (ص): (أنا دار العلم وعلي بابها)[٣٦].

وعنه (ص): (أنا ميزان العلم وعلي كفتاه)[٣٧].

وعنه (ص): (علي باب علمي ومبين لأمتي ما أرسلت به من بعدي)[٣٨].

عن رسول اللّه(ص): (يا أم سلمة اشهدي واسمعي هذا علي أمير المؤمنين وسيد المسلمين وعيبة علمي (وعاء علمي) وبابي الذي أوتى منه)[٣٩].

قال المناوي في فيض الغدير (ج ٤/ص ٣٥٦): (علي عيبة علمي: أي مظنة استفصاحي وخاصتي وموضع سري ومعدن نفائسي، والعيبة مايحرز الرجل فيه نفائسه).

قال ابن دريد: (وهذا من كلامه الموجز الذي لم يسبق ضرب المثل به في ارادة اختصاصه بأموره الباطنة التي لايطلع عليها أحد غيره، وذلك غاية في مدح علي)[٤٠].

وفي هذه الطائفة من الأحاديث: (أن عليا باب علمه، ولاشك أن من يريد الدخول الى البيت، فلا بد أن يأتيه من بابه ﴿ولا تؤتوا البيوت الا من أبوابها﴾. وأن عليا عيبة علمه (ص)، ووعاء علمه، ثم يأمر (ص) الأمة أن يأخذوا علمه (ص) وسنته (ص) من علي).

وبعض ذلك يكفي لمن ألقى السمع وهو شهيد، وهو يدل دلالة واضحة على أن رسول اللّه(ص) قد عين من بعده أهل بيته مصدرا يأخذون الناس عنهم دين اللّه وسنة رسوله(ص).

٤ـ أحاديث أخرى:

قال (ص):

(النجوم أمان لأهل الأرض من الفرق، وأهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف، فاذا خالفتها قبيلة من العرب اختلفوا وصاروا حزب إبليس)[٤١].

قال الحاكم هذا حديث صحيح الاسناد.

وقال (ص):

(علي مع القرآن والقرآن مع علي لن يفترقا حتى يردا علي الحوض)[٤٢].

وقال الحاكم هذا حديث صحيح الاسناد.

وروى الحاكم في المستدرك عن زيد بن أرقم قال: قال رسول اللّه(ص):

(من سره أن يحيى حياتي، ويموت موتي، ويسكن جنة الخلد الذي وعدني ربي، فليتول علي بن أبي طالب فانه لن يخرجكم من هدى ولن يدخلكم في ضلالة)(٤٣).

قال الحاكم هذا حديث صحيح الاسناد.

وأخرج الطبراني في الكبير والرافعي في مسنده عن ابن عباس قال: قال رسول اللّه(ص):

(من سره أن يحيى حياتي، ويموت موتي، ويسكن جنة عدن غرسها ربي، فليوال عليا من بعدي وليوال وليه، وليقتد بأهل بيتي من بعدي فانهم عترتي، خلقوا من طينتي، ورزقوا فهمي وعلمي، فويل للمكذبين بفضلهم من أمتي، القاطعين فيهم صلتي، لاانالهم اللّه شفاعتي)(٤٤).

وأخرج البارودي وابن جرير وابن شاهين وابن منده عن طريق اسحاق عن زيد بن مطرق قال: سمعت رسول اللّه(ص) يقول:

(من أحب أن يحيى حياتي، ويموت ميتتي، ويدخل الجنة التي وعدني ربي وهي جنة الخلد، فليوال عليا وذريته من بعده فانهم لن يخرجوكم من باب هدى، ولن يدخلوكم باب ضلاله)(٤٥).

وقال (ص):

(في كل خلف من أمتي عدول من أهل بيتي ينفون عن هذا الدين تحريف الضالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، الا وأن أئمتكم وفدكم الى اللّه فانظروا من توفدون)(٤٦).

وهذا غيض من فيض في الأحاديث الواردة عن رسول اللّه(ص) في أهل بيته(ع)، وتعيينهم أئمة ومراجع للناس في الحلال والحرام وفي حدود اللّه تعالى وسنة رسوله من بعده (ص).

إعداد علي (ع) للامامة:

وكما كان رسول اللّه(ص) يحرص على اعداد الأمة لقبول أهل بيته أئمة من بعده يرجعون إليهم في معرفة حدود اللّه تعالى وأحكامه ولمعرفة الحلال والحرام.

كذلك كان رسول اللّه(ص) يحرص على اعداد علي(ع) من أهل بيته للقيام

بهذه المهمة من بعده.

فكان (ص) يخص عليا بكثير من رعايته وعنايته.. رباه في بيته، وتولى (ص) تربيته بنفسه، فنشأ على يد رسول الله (ص) منذ نعومة أظفاره، وكان أول من آمن به واقتدى به.

وخصه (ص) من رعايته وعنايته واهتمامه مالم يخص به أحداً من أصحابه، وأفضل من يصف علاقة رسول الله(ص) به واهتمامه(ص) بتربيته واعداده اماما للمسلمين هو (ع).

يقول في خطبته المعروفة بالقاصعة:

(وقد علمتم موضعي من رسول الله(ص) بالقرابة القريبة، والمنزلة الخصيصة، وضعني في حجره وأنا ولد يضمني الى صدره ويكنفني فراشه، ويمسني جسده، ويشمني عرفه، وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه، وما وجد لي كذبة في قول ولا خطلة في فعل ولقد كنت أتبعه اتباع الفصيل أثر أمه، يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علما ويأمرني بالاقتداء به، وقد كان يجاور في كل سنة بحراء، فأراه ولا يراه غيري، ولم يجمع في بيت واحد يومئذ في الاسلام غير رسول الله(ص) وخديجة وأنا ثالثهما أرى نور الوحي وأشم ريح النبوة)[٤٧].

ومما تقدم من أحاديث رسول الله(ص) في أهل بيته، وهو غيض من فيض كما قلنا من أحاديث رسول الله(ص) في اهل البيت(ع) نجد ان رسول الله(ص) لم يشغله شيء عن العناية بمستقبل الدعوة والدين وانه (ص) كان قد أعد عليا(ع) من بعده ليحمل الى المسلمين ميراث النبوة من علم الشريعة وحدود الله.

وفي بعض ماتقدم من أحاديث صحيحة وصريحة عن رسول الله(ص) كفاية في انه كان يوجه الناس الى الرجوع من بعده في أمر الدين وفي معرفة حدود الله الى أهل بيته، وانه (ص) كان يعد عليا(ع) لهذا الغرض.

ولنستمع الى الامام علي(ع) يحدثنا بحديث ذي شجون عما جرى لسنة رسول الله(ص) وحديثه من بعده وعن علم رسول الله(ص) وعمن تحمل ميراث النبوة من بعده (ص)، وتقييم مافي أيدي الناس من الحديث النبوي، وان فيه الحق الذي قاله رسول الله(ص)، والباطل الذي افتري عليه، والصدق الذي نطق به، والكذب الذي

وضعه المنافقون والكذابون عليه (ص)، يقول عليه السلام:

(ان في أيدي النـاس حقـا وبـاطلا، وصدقا وكذبا، وناسخا ومنسوخا، وعاما وخاصا، ومحكما ومتشابها، وحفظا ووهما، وقد كذب على رسول اللّه(ص) على عهده حتى قام خطيبا فقال:

«أيّها النّاس قد كثُرت علي الكذّابة، فمن كذب علي متعمّداً فليتبوّأ مقعده من النّار»ثمّ كذب عليه من بعده، وإنّما أتاكم الحديث من أربعة ليس لهم خامس :

رجل منافق يظهر الايمان متصنع بالاسلام، لايتأثم ولايتحرج ان يكذب على رسول اللّه(ص) متعمدا، فلو علم الناس أنه منافق كذاب لم يقبلوا منه، ولم يصدقوه، ولكنهم قالـوا هذا قد صحب رسـول اللّه(ص) ورآه وسمـع منه واخذوا عنه، وهم لايعرفون حاله، وقد أخبره اللّه عن المنافقين بما أخبره ووصفهم بما وصفهم، فقال عز وجل: ﴿واذا رأيتهم تعجبك أجسامهم، وان يقولوا تسمع لقولهم﴾، ثم بقوا بعده فتقربوا الى أئمة الضلال والدعاة الى النار بالزور والكذب والبهتان، فولوهم الأعمال وحملوهم على رقاب الناس وأكلوا بهم الدنيا وانما الناس مع الملوك والدنيا الا من عصم اللّه فهذا أحد الأربعة.

ورجل سمع من رسول اللّه(ص) شيئا لم يحمله على وجهه ووهم فيه، ولم يتعمد كذبا فهو في يده يقول به ويعمل به ويرويه، فيقول: أنا سمعته من رسول اللّه(ص) فلو علم المسلمون انه وهم لم يقبلوه، ولو علم هو انه وهم لرفضه.

ورجل ثالث سمع من رسول اللّه(ص) شيئا أمر به ثم نهى عنه، وهو لايعلم أو سمعه ينهي عن شيء ثم أمر به وهو لايعلم، فحفظ منسوخه ولم يحفظ الناسخ، ولو علم انّه منسوخ لرفضه، ولو علم المسلمون إذ سمعوه انّه منسوخ لرفضوه.

وآخر رابع لم يكذب على رسول اللّه(ص) مبغض للكذب خوفا من اللّه وتعظيمًا لرسول اللّه(ص) لم ينسه، بل حفظ ماسمع على وجهه فجاء به كما سمع لم يزد فيه ولم ينقص منه وعلم الناسخ من المنسوخ فعمل بالناسخ ورفض المنسوخ، فان أمر النبي(ص) مثـل القرآن ناسخ ومنسوخ (وخاص وعام)، ومحكم ومتشابه، قد كان يكون من رسول اللّه الكلام له وجهان: كلام عام، وكلام خاص، مثل القرآن، وقال اللّه عز وجل في كتابه: ﴿ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾، فيشتبه

على من لم يعرف ولم يدر ماعنى اللّه به ورسوله(ص)، وليس كل أصحاب رسول اللّه(ص) كان يسأله عن الشيء فيفهم، وكان منهم من يسأله ولا يستفهمه، حتى ان كانوا ليحبون أن يجيء الأعرابي والطارئ فيسأل رسول اللّه(ص) حتى يسمعوا.

وقد كنت أدخل على رسول اللّه(ص) كل يوم دخلة وكل ليلة دخلة، فيخليني فيها أدور معه حيث دار، وقد علم أصحاب رسول اللّه(ص) انه لم يصنع ذلك بأحد غيري، فربما كان في بيتي يأتيني رسول اللّه(ص) اكثر ذلك في بيتي، وكنت اذا دخلت عليه بعض منازله أخلاني، وأقام عني نساءه، فلا يبقى عنده غيري واذا أتاني للخلوة معي في منزلي لم تقم عني فاطمة ولا أحد من بني وكنت اذا سألته أجابني واذا سكت عنه وفنيت مسائلي ابتدأني فما نزلت على رسول اللّه(ص) آية من القرآن الا أقرأنيها وأملاها علي فكتبتها بخطي وعلمني تأويلها وتفسيرها وناسخها ومنسوخها ومحكمها ومتشابهها وخاصها ودعا اللّه أن يعطيني فهمها وحفظها، فما نسيت آية من كتاب اللّه ولا علما أملاه علي وكتبته منذ دعا اللّه لي بما دعا وما ترك شيئاً علّمه اللّه من حلال ولا حرام ولا أمر ولانهي كان أو يكون، ولا كتاب منزل على أحد قبله من طاعة أو معصية الا علمنيه وحفظته فلم أنس حرفا واحدا، ثم وضع يده على صدري ودعا اللّه لي أن يملأ قلبي علما وفهما وحكما ونوراً، فقلت: يانبي اللّه بأبي أنت وأمي منذ دعوت اللّه لي بما دعوت لم أنس شيئاً ولم يفتني شيء لم أكتبه أفتتخوف علي النسيان فيما بعد. فقال لا لست أتخوف عليك النسيان والجهل).

ذلك استعراض موجز لجانب من التخطيط النبوي لاعداد أهل البيت(ع) ليكونوا من بعده (ص) مرجعا للناس في دينهم وفي معرفة الحلال والحرام، واستعراض لطرف من الاحاديث والمواقف التي اتخذها رسول اللّه(ص) لاعداد الأمة للتسليم بامامة أهل البيت(ع)، والرجوع اليهم بعد وفاته (ص) في معرفة سنة رسول اللّه(ص) وحديثه.

فهو (ص) حينا يقرن أهل بيته(ع) بالقرآن، ويقول: (انهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض)، ويعتبر الاعتصام بهما عاصما من الخطأ والانحراف.

وحينا آخر يمثلهم بسفينة نوح(ع) تعصم من ركبها، ويغرق من تخلف عنها، ولايجد من دونها عاصما.

وطور آخر يمثلهم بالنجوم أمانا لأمته من الفرق والضياع والتيه، وغيره كثير من الأحاديث التي لسنا بصدد استعراضه وشرحه هنا.

استمرار تبليغ الأحكام بعد رسول اللّه(ص):

من هذا المنطلق نحن نعتقد، ان تبليغ الأحكام الالهية لم ينقطع بوفاة رسول اللّه(ص) وانما استمر تبليغ السنة النبوية من بعد وفاته(ص) على يد أهل بيته من بعده وأعلن ذلك في أكثر من مناسبة وموقف على المسلمين وبتعابير مختلفة، لاتدع مجالا للشك، ولو ان الانسان أنصف في تحليل وتفسير هذه الأحاديث واستطاع أن يتخلص من الرواسب المذهبية والتاريخية التي تشده الى اطار خاص... لم يشك في ان رسول اللّه(ص) كان يعدّ الأمة من بعده للتسليم بإمامة أهل بيته، وكان يعدّ علياً ومن بعده أهل بيته لاستلام إمامة المسلمين في أمور الدّين وفي الحلال والحرام.

وقد استعرضنا طرفا من هذه الأحاديث وتركنا استعراض عامتها الى الكتب المفصلة في هذا الموضوع[٤٨].

آية الإكمال:

ونعتقد ان قوله تعالى:

﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا﴾.

نزلت في هذا الأمر بالذات، أي في أمر تعيين أهل البيت(ع) أئمة للدين ومراجع للمسلمين في أمور دينهم بعد رسول اللّه(ص).

فقد نزلت هذه الآية بعدما بلغ رسول اللّه(ص) المسلمين بأمر من اللّه تعالى ولاية علي بن أبي طالب أمير المؤمنين(ع) وامامته للمسلمين من بعد وفاته (ص) في يوم غدير (خم).

فنزلت هذه الآية الكريمة تشير الى أن اللّه تعالى قد أكمل دينه لعباده، وأتم نعمته تعالى عليهم بنصب علي ومن بعده سائر أهل بيته(ع) أئمة ومراجع لهم في الدين يأخذون عنهم دين اللّه وسنة رسول اللّه(ص) وما اشتبه عليهم من حدود اللّه، ومالم يعرفوا تأويله من المتشابه من كتاب اللّه، ويستمر بهم تبليغ السنة النبوية فلا تنقطع

سنة رسول اللّه(ص) وحديثه بوفاته[٤٩].

عصمة أهل البيت(ع) ونفي الاجتهاد عنهم:

فالأئمة من أهل البيت(ع) إذن ليس شأنهم شأن سائر المجتهدين والفقهاء، يخطؤون حينا ويصيبون حينا، وإنما عينهم رسول اللّه(ص) من بعده مصدرا لتبليغ حديثه وسنته، ومرجعا في الدين يبلغون أحكام اللّه تعالى وسنة رسول اللّه(ص) من غير سهو أو خطأ أو شك أو ترديد، كما كان رسول اللّه(ص) يبلغ أحكام هذا الدين، ولذلك فمن المسامحة في التعبير أن نقول عن فقههم (مذهب أهل البيت) كما يشيع التعبير عنه، فان كلمة (المذهب) تشير الى اتجاه في فهم الدين يدخل فيه عنصر الاجتهاد والرأي، وليس عند الأئمة من آل البيت(ع) رأي أو اجتهاد في الدين ولا يتكلمون عن ظن، وانما يفتون في أحكام اللّه تعالى وحدوده عن يقين وبصيرة بما أفتى به رسول اللّه(ص)، وخصهم به من علم، وسوف نرى في هذا البحث إن شاء اللّه ان أحاديثهم لاتتجاوز حديث رسول اللّه(ص) وفتاواهم هي سنة رسول اللّه(ص) ينقلونها الى المسلمين.

وهذا هو معنى (العصمة في التبليغ) التي بها يمتاز أئمة أهل البيت(ع) من سائر العلماء وفقهاء المسلمين.

فالعلماء والفقهاء يفتون الفتوى، ويرون الرأي بعد بذل مابمقدورهم عن الجهد في استنباط حكم اللّه تعالى، فيصيبون حينا ويخطئون آخر، وليس رأيهم بمعصوم عن الخطأ والزلل، ولايدعون هم لأنفسهم هذه الصفة بحال من الأحوال.

أما الأئمة من أهل البيت(ع) فليس لهم من رأي، وانما ينقلون الينا حكم اللّه تعالى بما آتاهم اللّه من علم، وبما فتح اللّه عليهم من أبواب فهم كتاب اللّه وسنة رسول اللّه(ص)، فلا يخطؤون في حكم اللّه، ولايفتون بغير علم، ويقومون من استقام بهم ويعصمون من اعتصم بهم من الخطأ والزلل، وهو معنى قوله (ص) في حديث الثقلين الذي سبقت الاشارة اليه:

(يا أيها الناس إني تارك فيكم ما أن أخذتم به لن تضلوا: كتاب اللّه وعترتي أهل بيتي).

وقوله (ص):

(إني تارك فيكم ما أن تمسكتم به لن تضلوا بعدي: كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما).

فالتمسك بهما إذن ـ معا ـ عاصم من الضلال والزلل، وانهما ـ أي الكتاب والعترة ـ لن يفترقا عن بعض حتى يردا على رسول الله(ص) الحوض.

وقد أخبر الله اللطيف الخبير، رسوله الكريم انهما لن يفترقا عن بعض الى يوم القيامة، فكيف يمكن أن ينسب اليهم الخطأ والسهو والزلل بعد هذا التصريح، وكيف يمكن أن يضل الطريق أو ينحرف من أخذ دين الله تعالى عنهم في حلاله وحرامه.

وهذا هو معنى عصمتهم من الخطأ والزلل التي ذكرنا انها سمة خاصة بهم ومنحه الهية تخصهم من بين سائر فقهاء المسلمين وعلمائهم.

وهذه (العصمة) في التبليغ هي الأساس الذي اعتمدناه فيما قلنا سابقا من أن أهل البيت(ع) يشكلون المصدر الصافي والمنهل العذب لدين الله وسنة رسول الله(ص) من بعد وفاة رسول الله(ص).

وليس القول بعصمة الأئمة من أهل البيت(ع) استنتاجا شخصيا أو مدلولا لجملة من الأحاديث النبوية فقط، وان كان على هذا المستوى أيضا قولا لايعارض ولا يرقى اليه الشك.. أقول ليست مسألة عصمة أهل البيت(ع) استنتاجا من هذه المجموعة من الأحاديث فقط، وانما نزلت في ذلك آية صريحة في محكم ذكر الله، وقرآنه الكريم، وذلك قوله تعالى في سورة الأحزاب/ الآية ٣٣:

﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا﴾.

فاستمع لما نتلو عليك من شرحها وتفصيلها.

آية التطهير

﴿إنما يريد اللّه ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا﴾

وسوف نستعرض الأبحاث المتعلقة بهذه الآية الكريمة من خلال مفردات الآية المباركة واحدة بعد أخرى.

﴿إنما﴾..

الآية الكريمة مصدرة بكلمة (إنما) وهي من أقوى أدوات الحصر في اللغة العربية، وتفيد هذه الكلمة إثبات مابعدها، ونفي ماعداه، كما تقول: (إنما الفقيه علي) فيكون معناه إثبات الفقه لعلي ونفيه عن غيره.

قال ابن منظور في لسان العرب: (ومعنى إنما اثبات لما يذكر بعدها، ونفي لما سواه كقوله: وإنما يدافع عن أحسابهم أنا ومثلي. المعنى مايدافع عن احسابهم الا أنا أو مثلي)[٥٠].

فاذن للحصر في اللغة مدلول ايجابي وآخر سلبي، ولايتم معناه الا بهاتين الدلالتين معا.

فيكون معنى الآية الكريمة-إذن-في ضوء هذا التحديد إثبات التطهير لاهل البيت بارادة اللّه، ونفي أن يكون اللّه تعالى قد أراد تطهير غيرهم وقت نزول هذه الآية.

وهذا كله واضح لالبس فيه لمن أنس أسلوب العرب في الكلام، وعرف أصول اللغة وقواعدها.

توجيه الرازي للآية الكريمة:

وفي محاولة لصرف الآية عن هذا المعنى يقول الرازي في تفسيره الكبير[٥١] في تفسير هذه الآية: (يعني ليس المنتفع بتكليفكن هو اللّه، ولاتنفعن اللّه بما تأتين به، وانما نفعه لكن وأمره تعالى إياكن لمصلحتكن).

وهو كلام غريب في تغيير جهة مسار الآية الكريمة وتغيير جهة الحصر فيها.

فليس من شك ان الآيات السابقة على هذه الآية في خصوص أمهات المؤمنين زوجات رسول اللّه(ص) والخطاب متوجه فيها اليهن خاصة، ومما لاشك أيضا ان أمهات المؤمنين ان لم يكن خارجات من خطاب أهل البيت في هذه الآية الكريمة بموجب الروايات الواردة كما يأتي في هذه الآية الكريمة، فلسن المعنيات بالخصوص من كلمة أهل البيت، وذلك بدليل الأحاديث المتواترة والصحيحة التي سوف نعرض عليك طرفا منها، والتي تنص بدخول علي(ع) والزهراء والحسن والحسين في أهل البيت، وبدليل تذكير الضمائر في الخطاب في هذه الآية بالذات بخلاف ماقبلها ومابعدها من الآيات المقرونة بضمائر التأنيث.

ولا أذكر انّ أحدا من المفسرين والمحدثين يذهب الى اختصاص هذه الآية بزوجات النبي(ص) عدا عكرمة، كما سوف يمر علينا في هذا البحث وفي غالب الظّن ان عكرمة أيضا لايقصد اختصاص الخطاب في هذه الآية بزوجات النبي(ص)، وانما يعني دخول أمهات المؤمنين في خطاب هذه الآية وفي كلمة أهل البيت.

وبذلك لايبقى وجه لما يراه الرازي من أن الخطاب في هذه الآية استمرار للخطابات السابقة، بعد أن اتضح ان الخطابات السابقة تتعلق بزوجات النبي(ص) خاصة والخطاب في هذه الآية لايتعلق بهن بالخصوص، وانما يشملهن وسائر أهل بيت النبي(ص) على أكثر التقادير تسالما مع الرازي ونظرائه.

وموقع الآية الكريمة بين طائفتين من الخطابات الخاصة بأمهات المؤمنين، لايشفع لهذا التفسير مطلقا بعد ظهور اختلاف السياق فيها عن الآيات السابقة عليها والآيات المتأخرة عنها بشكل واضح، وبعد ورود دليل قطعي من أحاديث صحيحة ومتواترة بدخول غيرهم من آل بيت رسول اللّه(ص) في الخطاب في هذه الآية.

ومع اختلاف المخاطبين في هذه الآية عن سابقتها من حيث العموم والخصوص على أقل التقادير فلا يصح تفسير الرازي للآية الكريمة بقوله: (يعني ليس المنتفع بتكليفكن هو الله.. وإنما نفعه لكن) ومحاولة إدخال هذه الآية في سياق الآيات السابقة ومضمونها واعتبارها استمرارا للخطابات السابقة في الآيات السابقة في الآيات المتعلقة بزوجات النبي(ص).

فإذا كان مقصود الرازي من التكليف في قوله: (يعني ليس المنتفع بتكليفكن هو الله.. وانما نفعه لكن): الخطابات السابقة المتعلقة بزوجات النبي(ص)، فلا معنى لأن ينتفع بهن غيرهن من آل البيت من رجال الأسرة النبوية ونسائها لأن في هذه الخطابات مالايعودله نفع الا عليهن خاصة والخطاب متوجه اليهن خاصة والمفروض أن كلمة أهل البيت يعمهن وغيرهن من أفراد الأسرة النبوية. واذا كان المقصود إلغاء خصوصية الخطاب المتوجه اليهن واعتبار هذه الخطابات ومايعمها من الأوامر الأخرى في هذه الآية الحاصرة... فلا معنى لحصر الفائدة منها في أهل البيت(ع) خاصة، لانتفاء خصوصية الفائدة وعموم نفعها لأهل البيت(ع) وغيرهم.

على أن هذا التفسير يذكره الرازي ، خروج على الظاهر المفهوم من الجملة، وفيه من التكلف والضغط على دلالات الألفاظ مالايجوز أن يرتكبها المفسر الا عندما تستدعي ذلك ضرورة قاصية، والا فان ظاهر الكلام وسياقه الطبيعي: حصر ارادة التطهير في أهل البيت(ع) فقط، وهو أظهر شيء وأول شيء يتبادر الى الذهن في قوله تعالى: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت﴾ وهو كلام عربي مبين، يجري جريا صافيا واضحا لايكاد أن يحوج الانسان الى هذا الالتفاف واللف والدوران.

فالمعنى-إذن-في ضوء ماتقدم: ان الله تعالى قد شاء أن يطهركم أهل البيت، ويذهب عنكم الرجس دون غيركم من الناس، فيحين نزول هذه الآية المباركة.

﴿يريد الله﴾..

من المعروف ان ارادة الله تعالى تأتي على نحوين (تكوينية) و(تشريعية).. و(التكوينية) هي التي لايمكن أن يحول شيء بين ارادته تعالى وبين مايريد. ولايمكن

أن يختلف مراده عن ارادته تعالى، ولايمكن أن يريد وجود شيء فلا يكون.. يقول عز شأنه:

﴿إنما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون﴾.

و (التشريعية) هي التي تتخلل ارادة المكلف واختياره بين ارادته تعالى ومايريده من أعمال المكلفين.. وتتعلق هذه الارادة دائما بالأفعال التي شرعها اللّه تعالى للمكلفين، كما ان متعلق الارادة التكوينية (الأمور التكوينية).

ولما كانت الارادة التشريعية للّه تعالى مما تتخلل ارادة العبد بينها وبين مايريد اللّه تعالى، ولاتتم الا بارادة العبد واختياره.. فلا يعز في ذلك تخلف المراد عن الارادة الالهية، فقد يستجيب لارادة اللّه تعالى وينفذ مايريد فتتحقق الارادة الالهية، وقد لايستجيب العبد ـ ويعصي ـ ويخالف مايريده اللّه تعالى، ولاينفذ مايريده اللّه.

فتكون ارادة العبد واختياره حائلة بين ارادته تعالى ومايريده، وذلك لا لوجود عجز في ارادة اللّه تعالى، وانما لأن اللّه تعالى يريد تنفيذ ارادته من خلال ارادة العبد واختياره ورغبته.

وهذا التقسيم للارادة يجري في ارادة الانسان أيضا مع بعض الفرق.. فقد تتعلق ارادة الانسان ببعض الأمور التكوينية، كما لو أراد أن يشرب الماء أو يكتب فيتناول الماء ويشربه ويتناول القلم، ويكتب وهذه هي الارادة التكوينية. وقد تتعلق ارادته بفعل غيره، بارادة الغير واختياره، كما لو أراد من ابنه أن يسقيه ماءً أو يكتب، فيطلب منه ذلك، فيستجيب له ابنه أو لايستجيب. وهذه الارادة هي من النوع الثاني مع بعض الفروق والاختلافات..

وبعد هذا التفصيل والتقييم للارادة، فمن أي قسم من الارادة هذه الارادة التي نحن بصددها في الآية الكريمة: ﴿يريد اللّه﴾.

فهل يجوز أن يكون من (الارادة التشريعية)..؟ لاشك انه لو كانت الارادة في الآية الكريمة من الارادة التشريعية وكان معنى ﴿يريد اللّه﴾ ان اللّه تعالى يريد طهارة أهل البيت(ع) وذهاب الرجس منهم بارادتهم واختيارهم، فلا تكون الآية الكريمة دالة على عصمتهم في شيء، فليس كلما يريد اللّه تعالى لعباده من طهارة، وعدل، وحق ـ في تشريعه ـ بكائن، وما أكثر مايريد اللّه تعالى لعباده من خير، فلا

يستجيب له عباده. فلا تكون في الآية الكريمة دلالة على عصمتهم بهذا الشكل القطعي الذي نستنتجه نحن من الآية الكريمة.

إلا أن (الارادة التشريعية) هذه لا تنسجم مع كلمة ﴿انما﴾ السابقة عليها، بما فيها من دلالة قوية على الحصر. فليس من ريب ان ارادة التطهير بمعناها التشريعي لايمكن ان تكون مقتصرة على أهل البيت خاصة، فان اللّه تعالى يريد هذا التطهير لكل عباده. يقول تعالى:

﴿مايريد اللّه ليجعل عليكم من حرج، ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون﴾..

ولا معنى لحصر ارادة التطهير بناء على ذلك في أهل البيت خاصة، ونفيها عمن سواهم، بما ذكرنا ـ آنفا ـ للحصر من مدلول ايجابي وسلبي.

إذن فلايمكن تفسير الارادة في الآية الكريمة بالتشريعية، ولم يبق الا أن يكون المقصود من الارادة هنا (الارادة التكوينية) خاصة، حتى تستقيم دلالة ﴿إنّما﴾ على معناها وتنسجم مع مابعدها.

استحالة تخلف المراد عن إرادته تعالى:

واذا صح أن المقصود من الارادة في الآية الكريمة (الارادة التكوينية) فلا يمكن أن يتخلف مراده عن ارادته تعالى، ولايمكن أن يصيبهم عليهم السلام رجس، أويفارقون الطهارة في حال من الأحوال.. وذلك إن من البديهيات التي لايشك فيها مسلم استحالة تخلف المراد عن ارادته تعالى:

﴿إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون﴾.

فيستحيل أن يصدر عنهم رجس، أو تفارقهم الطهارة كما ذكرنا.

وهذا المعنى من الارادة ينسجم مع الحصر الذي تفيده كلمة ﴿إنما﴾، ويصح الايجاب، كما يصح السلب أيضا، ولايلزم من ذلك المحذور الذي ذكرناه فيما لو كانت الارادة تشريعية.

فتجب الطهارة لأهل البيت(ع)، ويمتنع عليهم الرجس بحكم هذه الآية الكريمة.

شبهة انعدام الاختيار في المعصومية:

وقد يثير أحد ان تفسير الارادة بهذا النحو يؤدي الى انعدام حالة الاختيار في أهل البيت(ع)، اذ المفروض أن الارادة التكوينية هي التي لايتوسط فيها اختيار المكلف بين ارادة اللّه تعالى ومايريد من تطهيرهم وإذهاب الرجس عنهم عليهم السلام.

والجـواب عن هذه الشبهـة يتضـح بايضاح معنى العصمة، فان هذه الشبهة لاتخص أهل البيت عليهم السلام.. وانما تعم الأنبياء عليهم السلام..

ومـايرد هنـا على عصمـة أهـل البيت عليهم السلام من اعتراض يرد على عصمة الأنبياء عليهم السلام أيضاً.. ولاشكّ في عصمة الأنبياء ولو في بعض النواحي، على نحو الإجمال.

إذن فلننقل الحديث الى أصل موضوع العصمة بشكل عام: لاشك إن العصمة تعني استحالة صدور الذنب والخلاف من المعصوم، إلا ان هذه الاستحالة تأتي نتيجة تربية خاصـة، وتصعيد لقوة الارادة وضبط للنفس، وتأييد من اللّه تعالى وامداد منه سبحـانه، لعبده، قبل ذلك كله.. بدرجة يستحيل معها صدور الذنب والخلاف من العبد، وليس معنى العصمة: انعدام الارادة والاختيار في سلوك الانسان، وانما معناها تصعيد الارادة وتكاملها بدرجة يستحيل معها صدور الذنب ومخالفة اللّه واتباع الهوى من الانسان.

ولنضرب على ذلك مثلا يقرب الينا المقصود:

كل واحد منا يتمتع بدرجة من العصمة، وتختلف مساحة (العصمة) من شخص الى آخر، باختلاف تربيته ومعاناته مع نفسه ـ وقوة ارادته ـ وقدرته على مخالفة الهوى وضبط النفس، ودرجة تهذيب النفس.

فيستحيل على الأم مثلا أن تقتل أولادها بيدها، ولايمكن أن نتصور ان أما تقدم على قتـل أولادها بيدها، مهما غضبت الأم من أطفالها.. وهذه الدرجة من العصمة موجودة في الأعم الأغلب في الأمهات (غير الحالات الاستثنائية والمرضية)..

وهذه العصمة، تتم بارادة اللّه تعالى التكوينية، بما أودع في قلب الأم من عاطفة

ورحمة تجاه أولادها، إلا انه لايعني اطلاق انعدام الارادة في الأم، وصدور هذ الرحمة عنها من غير ارادة واختيار ويستحيل على كثيرين من الناس ـ مثلا ـ قتل النفس المحرمة، عمدا لأسباب تافهة جزئية، او خلاف في حق أو جدال في رأي، بينما لايملك السفاحون من الناس هذه الدرجة من العصمة. أما عامة الناس فيستحيل في حقهم الاقدام على جريمة القتل بسبب تافه جزئي، بكل ماتحمل الاستحالة من معنى.

ونرتفع درجة أخرى على هذا السلم البشري في السلوك. فنجد أن طائفة كبيرة من الناس، يعيشون على مستوى أعلى من هذا المستوى العام، فيستحيل في حقهم الاعتداء على الآخرين بظلم مجحف، مثل قطع أرزاق الناس ومحاربتهم في معاشهم، والقائهم في السجون، واضطهادهم وتعذيبهم، لاختلاف جزئي في حق أو رأي.. بينما يمارس آخرون هذا النحو من السلوك من غير تحرج ولأسباب جزئية.

وهذه درجة من العصمة أعلى من سابقتها، ومساحة من العصمة السلوكية أوسع من المساحة السابقة، ولاشك انها تأتي نتيجة لتربية أقوى للمحافظة على يقظة الضمير وسلامة النفس وتهذيبها.

واذا ارتفعنا على هذا السلم درجة ثالثة نجد ناسا يستحيل في حقهم أن يظلموا آخرين بكلام فاحش بذيء بمرأى من الناس ومسمع او حتى الدخول في سباب صاخب بذيء وذلك يدل على درجة أسمى من التربية ومعاناة النفس وضبطها وتهذيبها، ومكانة اجتماعية خاصة ومؤثرات اجتماعية وتربوية تفرض على الانسان هذا السلوك المعين، بمحض ارادته واختياره.

ونصعد درجة أخرى لنرى طائفة من الناس آتاهم الله حظا واسعا في الدين، وهيأ لهم تربية صالحة، وأيدهم بروحه وفضله، يستحيل في حقهم أن يسببوا أي أذى لمؤمن حتى لو تكون اشارة مؤذية عابرة أو غيبة أونميمة بسيطة، وهذه الطائفة وان قلت، لكنها موجودة فعلا، ويستحيل في حقهم صدور أي ظلم أو أذى للمؤمنين، كما يستحيل في حق غالب الناس أن يرتكبوا جريمة القتل من دون سبب، أو سبب تافه لاقيمة له كما يقدم عليها الطغاة السفاحون في الحرب والسلم.

وليس في شك ان الانسان يرتقي هذا السلم الصعودي لدرجات العصمة، وفي كل درجة يستحيل في حقه الظلم والاعتداء بمساحة خاصة تتسع، كلما ارتفعت درجة

الانسان في هذا السلم، ويرتبط ذلك بما يتلقاه الانسان من تربية ومايعانيه من تهذيب نفسه وضبطها والمحافظة على يقظة ضميره وسلامته من معاناة، وأيضا بما يمنحه اللّه تعالى من تأييد وامداد في ساعات ضعف النفس.

وفي كل مرحلة من مراحل العصمة لاتعني استحالة صدور المعصية والظلم من الانسان انها تتم في نفس الانسان بصورة قهرية، ومن غير تدخل من ارادته واختياره.. وإنما يتمنع الفرد من الظلم في كل مرتبة من هذه المراتب بارادته واختياره، بالتأكيد إلا أن مراتب الارادة ودرجاتها تختلف باختلاف تربية الانسان ومعاناته النفسية ومحيطه وبيئته ومركزه الاجتماعي، وغير ذلك من الأسباب، وفي مقدمته تأييد اللّه تعالى له وإمداده إياه، بتصعيد ارادته في مواجهة حالات الضعف البشري، فتكون لكل مرحلة من الارادة درجة من المناعة ومساحة من العصمة.

ولاشك أن تأييد اللّه تعالى وامداده لعبده من أهم هذه الأسباب المقومة لارادة الانسان، والتي تضبط سلوك الانسان من الانحراف والظلم والخلاف.

ولاشك أيضا ان درجة تأييد اللّه تعالى لعبده تتبع قانونا دقيقا جداً، شأن سائر سنن اللّه تعالى، فكلما جاهد الانسان نفسه أكثر، آتاه اللّه تعالى درجة أعلى من التأييد ومزيدا من الامداد:

﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا، وإن اللّه لمع المحسنين﴾[٥٢].

فالعصمة، واستحالة الذنب والخلاف من العبد، لاتعني إذن انعدام الارادة والاختيار، وإنما تعني ارتفاع الارادة لدرجة لاتغلبها قوى النفس التي تميل الى الخلاف والانحراف.

وإذا استطعنا أن نتصور (العصمة) في هذه المساحات المختلف، بشكل لايتنافى مع ايجابية الارادة والاختيار، فاننا نستطيع في ضوء ذلك أن نتصور (العصمة) في مساحتها الكبرى في الأنبياء وأهل البيت عليهم السلام، بحيث تستحيل عليهم المعصية وصدور الظلم والخلاف بمحض ارادتهم واختيارهم، ودون أن يكونوا مغلوبين أو مقهورين في شيء من ذلك أبدا.

وإذا تم هذا الايضاح، فلا يعسر علينا أن نفهم (الارادة التكوينية) في آية التطهير، فهي من إمداد اللّه تعالى وفيضه وتأييده لعباده الصالحين من أهل البيت(ع)،

في تطهير نفوسهم واذهاب الرجس عنهم. وتصعيد إرادتهم على نحو تكويني، وبقدرة قديرة من اللّه تعالى، تستحيل معها المعصية والذنب عليهم، بمحض إرادتهم واختيارهم.

وهذا التأييد الالهي لايؤدي الى سلب الاختيار والارادة عنهم، وإنما هو في حقيقته تصعيد لدرجة إرادتهم وقوّتها، وإمداد لها بالقوة والضبط، حتى يستحيل عليهم فعل معصية أو ذنب، كما يستحيل على الأم أن تقتل أطفالها مثلا، دون أن يؤدي ذلك الى سلب الاختيار والارادة منهم، وإنما بمحض اختيارهم وإرادتهم يجتنبون المعاصي والذنوب.

﴿ليذهب عنكم الرجس﴾..

الرجس : الشيء القذر[٥٣]، وهي حالة توجب التنفر، وهي قد تكون حالة مادية ظاهرية كما في لحم الخنزير.. يقول تعالى:

﴿أو لحم خنزير فانه رجس ﴾[٥٤].

وقد تكون حالة نفسية كما في قوله تعالى:

﴿وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا وهم كافرون﴾[٥٥].

ويقول تعالى:

﴿ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء، كذلك يجعل اللّه الرجس على الذين لايؤمنون﴾[٥٦].

فالآية الكريمة ـ صريحة ـ إذن ـ في أن اللّه تعالى قد أذهب عنهم الرجس.. وواضح ان الذنوب والمعاصي من أوضح افراد الرجس. وقد أذهبها اللّه تعالى من أهل بيت رسول اللّه(ص). وقد علمنا ان اذهاب الرجس هذا قد تم بمشيئة اللّه التكوينية. ولا يمكن أن يتخلف شيء عن إرادته سبحانه وتعالى:

﴿وإنّما أمره إذا أراد شيئاً أنْ يقول له كُنْ فيكون﴾.

وعليه فلا يمكن أن يصدر عنهم (عليهم السلام) ذنب أو معصية بحكم هذه الآية.

يقول الطبري في تفسير هذه الآية الكريمة:

(إنما يريد اللّه ليذهب عنكم السوء والفحشاء ياأهل بيت محمد ويطهركم من الدنس الذي يكون في أهل معاصي اللّه تطهيرا، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل).

ثم ينقل عن إبن زيد:

(إن الرجس هاهنا الشيطان، وسوى ذلك من الرجس: الشرك)[٥٧].

وفسر الشيخ محي الدين بن العربي لفظ (الرجس) في الباب ٢٩ من فتوحاته بكل مايشين، واليك عبارته قال:

(وقد ذكر النبي(ص): قد طهره اللّه وأهل بيته وأذهب عنهم الرجس، وهو كل مايشينهم، فان الرجس: هو القذر عند العرب، وهكذا حكى الفراء)[٥٨].

ويقول النيسابوري في تفسير الآية:

(فاستعار للذنوب الرجس)[٥٩].

(أهل البيت)

من هم أهل البيت(ع)؟

١ـ وحسبك في التعريف بأهل البيت ماسنقرؤه عليك من الروايات الصحيحة والصريحة التي تصرح بأسمائهم على طريقة الحصر واحدا بعد آخر، وهو قليل من كثير من الأحاديث الواردة في هذا الباب.

٢ـ ويبدو أن رسول اللّه(ص) كان حريصا على تحديد وتشخيص عنوان (أهل البيت) الذي نزل فيه قرآن من اللّه تعالى، والمنع عن استعمال هذه الكلمة في غير أهله، ومن إدخال من ليس منهم فيهم.

فكان (ص) يشخصهم بأسمائهم كما في رواية عبد اللّه بن جعفر:

(فيقول (ص) إدعوا لي إدعوا لي، فتقول صفية: من. فيقول (ص): (أهل بيتي عليا وفاطمة والحسن والحسين)، ثم يؤكد (ص) هذا الحصر والتشخيص بقوله: (اللهم هؤلاء آلي، فصل على محمد وآل محمد) فينزل اللّه فيهم قرآنا محكما: ﴿إنما يريد اللّه ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا﴾[٦٠]

ولايخفى مافي هذه الكلمة: (اللهم هؤلاء آلي) من الدلالة على حصر أهل

البيت(ع) فيهم، ونفيه عن غيرهم، لكل من عرف أساليب العرب في الكلام.

٣ـ وإمعانا في تشخيصهم وتحديدهم يحصرهم(ص) تحت كساء، كما في رواية أم سلمة رحمها اللّه:

(دعا رسول اللّه حسنا وحسينا وفاطمة، فأجلسهم بين يديه ودعا عليا فأجلسه خلفه، فتجلل هو وهم بالكساء، ثم قال: هؤلاء أهل بيتي فاذهب عنه الرجس وطهرهم تطهيرا)[٦١].

وهذا أبلغ مايكون في الحصر، فكأنما أراد رسول اللّه(ص) أن يقطع على كل أحد عذر الالتباس، فتجاوز دلالات الكلام بحصرهم تحت كساء واحد، ليكون أبلغ في الحصر، وأقوى في الدلالة.

٤ـ وتتمنى أم المؤمنين أم سلمة رحمها اللّه التي نزلت الآية الكريمة في بيتها، أن تكون هي من أهل البيت، بعد أن جمع رسول اللّه(ص) عليا وفاطمة والحسن والحسين واجتمع بهم تحت الكساء وقال:

(اللهم هؤلاء أهل بيتي. أذهب عنهم الرجس أهل البيت وطهرهم تطهيرا).

فتقول أم سلمة لرسول اللّه(ص):

(فأنا معهم يانبي اللّه).؟

فيقول لها:

(أنت على مكانك، وأنت على خير)[٦٢].

فلا ينفي (ص) إنها رحمها اللّه على خير، ولكن ينفي أن تكون من (أهل البيت) وهي زوجته ومن أمهات المؤمنين.

ولايبقى بعد ذلك ـ والرواية مصححة ـ مجال في إدخال أمهات المؤمنين في عداد المقصودين بأهل البيت(ع)، في هذه الآية الكريمة، بعد النفي الصريح القاطع من رسول اللّه(ص) لدخول أم سلمة رحمها اللّه، وهي من زوجات رسول اللّه(ص) ومن أمهات المؤمنين فيهم.

٥ـ ثم يصرح رسول اللّه(ص) في ذلك تصريحا لايترك لأحد شكا بعده، فيقول (ص):

(نزلت هذه الآية في خمسة: فيَّ، وفي علي، وحسن وحسين وفاطمة)[٦٣]

فهل يبقى لأحد شك، بعد هذا البلاغ النبوي الصادع في المقصود من (أهل البيت) في عصر نزول الآية الكريمة.

وهل يشك أحد بعد كل هذا الايضاح أن الآية الكريمة لم تشمل حين نزولها غير أولئك الخمسة الطاهرة: رسول اللّه(ص)، وعلي، وفاطمة، والحسن والحسين (عليهم السلام).

ويقول الامام شرف الدين رحمه اللّه:

(وقد أجمعت كلمة أهل القبلة من أهل المذاهب الاسلامية كلها على أنه (ص) لما نزل الوحي بها ـ بآية التطهير ـ عليه ضم سبطيه وأباهما وأمهما اليه، ثم غشاهم ونفسه بذلك الكساء، تمييزا لهم على سائر الابناء والأنفس والنساء، فلما انفردوا تحته عن كافة أسرته، واحتجبوا به عن بقية أمته بلغهم الآية، وهم على تلك الحال، حرصا على أن لايطمع بمشاركتهم فيها أحد من الصّحابة والآل، فقال مخاطبا لهم، وهم في معزل عن كافة الناس: ﴿**إنما يريد اللّه ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا**﴾ فأزاح (ص) بحجبهم في كسائه حينئذ حجب الريب، وهتك سدف الشبهات، فبرح الخفاء بحكمته البالغة، وسطعت أشعة الظهور ببلاغه المبين، والحمد للّه رب العالمين)[٦٤]

٦ـ وإمعانا في تحديد (أهل البيت) في الخمسة الذين نزلت فيهم الآية الكريمة، ونفي غيرهم، واعلاماً للأمة بما لايقبل الشك والتأويل بأهل البيت وعددهم في عصر نزول الآية الكريمة، أخذ رسول اللّه(ص) يتلو هذه الآية الكريمة كل يوم على باب بيت الزهراء(ع)، حيث يجمع عليا والزهراء والحسنين(ع)، بمرأى ومسمع من المسلمين.

عن أبي برزة، قال:

(صليت مع رسول اللّه(ص) سبعة أشهر، فاذا خرج من بيته أتى باب فاطمة(ع) فقال: الصلاة عليكم ﴿**إنما يريد اللّه ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا**﴾[٥٦].

وعن إبن عباس، قال:

(شهدت رسول اللّه(ص) تسعة أشهر يأتي كل يوم باب علي بن أبي طالب عند

وقت كل صلاة، فيقول السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أهل البيت **﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا﴾** كل يوم خمس مرات)[٦٦].

وعن ماالك بن أنس:

(ان رسول الله(ص) كان يمر بباب فاطمة ستة أشهر، كلما خرج الى صلاة الفجر، يقول: الصلاة يا أهل البيت **﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا﴾**[٦٧].

وهي خطة اعلامية عجيبة عمل بها رسول الله(ص) لازالة الالتباس عن (أهل البيت) في الآية الكريمة، وتحديده وحصره، بشكل لايدع مجالا لأحد في التلبيس أو الالتباس، وادخال من ليس منهم فيهم، واخراج من كان منهم عنهم.

ولاشك ان هذا الاهتمام الكبير من رسول الله(ص) في تبليغ هذا الأمر وتحديد أهل البيت في الخمسة الطاهرة، يكشف عن أمر جليل وكبير، ومغزى عميق في الآية الكريمة، له آثاره وأبعاده العميقة في تاريخ المسلمين وحياتهم ودينهم فيما بعد.

ولو ان الأمر في الآية الكريمة كان لايتجاوز تكريما لأهل البيت(ع) لعلاقتهم برسول الله(ص) لم يكن الأمر يقتضي مثل هذا الاهتمام والتأكيد والتكريس من رسول الله(ص)، باعلان أهل البيت بأسمائهم وحصرهم بهذه الأساليب المختلفة، حتى يبلغ الأمر به (ص) أن يعلن ذلك بمرأى ومسمع من المسلمين، ويكرر هذا الاعلان لستة أشهر أو سبعة أو ثمانية أو تسعة باختلاف الروايات أمام بيت الزهراء(ع)، في كل يوم خمس مرات أو أقل في أوقات الصلاة، وإنه لأمر عجيب وينطوي على أمر جليل.

ولأمر ما يكرر رسول الله(ص) هذه الحقيقة بأساليب مختلفة من البيان، مقرونة بأساليب مختلفة من العمل.

فيسمّي أهل البيت حينا بأسمائهم، ويحصرهم حينا آخر حصرا، فيقول: (اللهم هؤلاء آلي)، ويجمعهم تارة تحت كساء واحد يجللهم جميعا، ليس تحته أحد غيرهم. فتتمنى أم سلمة ـ زوجته ـ أن تدخل معه، فيردها ردا رقيقا.

ويعددهم ـ تارة أخرى ـ بأسمائهم واحدا بعد واحد وثم يأخذ باعلام الأمة بهذا البيت الطاهر ومن فيه بذلك الأسلوب العجيب الذي ذكرناه لمدة طويلة تختلف

الروايات في تحديدها.

اللهم إنا نشهد إن رسولك لم يكن يعمل كل ذلك من غير قصد وحكمة، وإنه قد بلغ ما أمرته به، ثم بلغ، وقام بما حملته كل قيام، ولم يترك لأحد مجالا لشك أو ارتياب أو تأويل.

اللهم اكتبنا من الشاهدين، وأعنا على ماحملتنـا...

الروايات المعارضة

وقد وردت روايات في تفسير الآية الكريمة بخلاف التفسير الذي رويناه عن رسول اللّه(ص) في حصر أهل البيت، وقت نزلت الآية الكريمة في الخمسة الطاهرة.

وهـذه الروايات المختلفة ضعيفة من ناحية السند، ومتروكة، ويكفي فيها أن نقول ان ابن حجر الهيثمي، وهو من أكثر الناس اصرارا على توجيه الآية الكريمة بموجب هذه الروايات يعترف ويقول:

(إن أكثر المفسرين على انها نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين)[٦٨].

ورغم ذلـك فان أمانة البحث تقتضينا أن نستعرض هذه الروايات لنعرضها للمناقشة من حيث السند والدلالة.

وهي على قسمين، فمنها ماتفسر الآية الكريمة بأنها تخص زوجات النبي(ص)، وهو رأي شديد التطرف، لايكاد يرتضيه حتى إبن كثير المعروف باتجاهه السلبي في هذا الأمر[٦٩].

ومنهـا ما تعمم الآية الكـريمة على زوجاته(ص)، وآله، بمن فيهم آل عقيل وآل عباس وآل جعفر وغيرهم.

وسوف نستعرض فيما يلي هذه الرّوايات، لنلقي عليها بعض الأضواء:

١ـ رواية عكرمة ومقاتل:

وينفرد (عكرمة)، وربما (مقاتل)[٧٠] أيضا، من بين المفسرين كلهم بتخصيص هذه الآية الكريمة بنساء النبي خاصة، وكان عكرمة ينادي بهذا في الأسواق[٧١].

وهـو قول عجيب، وأعجب منـه أن يتحمس له عكـرمـة حتى ينادي به في

الأسواق.. هو أمر يثير كثيرا من الريب في النفس.

ومما يريبنا في هذه الرواية إن الذي يروي هذه الرواية شخصان عرفا بالكذب عند المحدثين، وأسقطوا حديثهما عن الاعتبار.

وأول مايستوقفنا من رواية عكرمة الذي كان يتحمس لهذا القول حتى إنه كان ينادي به في الأسواق، إنه كان أباضيا (خارجيا) يرى السيف[٧٢]. وكان قد أتى نجدة الحروري (الخارجي) فأقام عنده ستة أشهر، وكان يحدث برأي نجدة.

وقال ابن لهيع:

(كان ـ أي عكرمة ـ أو من أحدث فيهم ـ أي في أهل المغرب ـ رأي الصغرية).

وقال يعقوب بن يوسف:

(سمعت إبن بكير يقول: قدم عكرمة مصر وهو يريد المغرب، وترك هذا الدار وخرج الى المغرب، فالخوارج الذين بالمغرب عنه أخذوا)[٧٣].

ولذلك كله (لم يذكر مالك بن أنس عكرمة)[٧٤]. ونقل (عن خالد بن أبي عمران: دخل علينا عكرمة أفريقية وقت الموسم، فقال: وددت أني اليوم بالموسم بيدي حربة أضرب يمينا وشمالا. قال فمن يومئذ رفضه أهل افريقية)[٧٥].

وهو أمر يكفي ـ وحده ـ أن يستوقفنا طويلا،وأن يريبنا في رواية عكرمة، ولا يقتصر أمر عكرمة على ماتقدم، فقد كان مولى لابن عباس، ومات إبن عباس وهو عبد له[٧٦]. فلما توفي إبن عباس استغل علاقته بابن عباس في الكذب عليه، وأكثر من الكذب على مولاه في الرواية، حتى ضرب به المثل.

عن يحيى البكاء: سمعت إبن عمر يقول لنافع:

(إتق اللّه ويحك يانافع، ولا تكذب علي كما كذب عكرمة على إبن عباس)[٧٧].

وعن سعيد بن المسيب إنه كان يقول لغلامه (برد):

(يابرد لاتكذب علي كما يكذب عكرمة على إبن عباس)[٧٨].

(وقال عبد اللّه بن الحارث دخلت على علي بن عبد اللّه بن عباس وعكرمة موثق على باب كنيف فقلت اتفعلون هكذا بمولاكم فقال ان هذا يكذب على أبي)[٧٩].

واشتهر أمره بالكذب..

يقول عطاء الخراساني:

(قلت لسعيد بن المسيب ان عكرمة يزعم أن رسول اللّه(ص) تزوج ميمونة وهو محرم، فقال كذب مخبثان[٨٠] (أي الخبيث)).

وعن يحيى بن سعيد الأنصاري ـ إنه ـ كان كذابا[٨١].

وكان مالك لايرى عكرمة ثقة، ويأمر أن لايؤخذ عنه[٨٢].

وقال أبو عبد اللّه ـ أي أحمد بن حنبل ـ :

(عكرمة مضطرب الحديث).

وقال ابن عليه ذكره ـ أي عكرمة ـ أيوب، فقال: كان قليل العقل[٨٣].

ومات بالمدينة، فما حمله أحد (أي لم يشيعه أحد) وأكروا له أربعة[٨٤].

وعن بعض المدنيين:

(إتفقت جنازته ـ عكرمة ـ وجنازة كثير عزة ـ الشاعر ـ بباب المسجد في يوم واحد، فما قام الناس اليها ـ جنازة عكرمة ـ أحد، فشهد الناس جنازة كثير، وتركوا عكرمة)[٨٥].

ذلك بعض مايقوله الثّقات من أرباب الجرح والتعديل، وبعض منه يكفي في الإعراض عن رواية عكرمة، وردّها إليه، فلا نُطيل في مناقشته.

وأما مقاتل بن سليمان المفسر، فتكفي فيه كلمة البخاري في ترجمته في كتاب التاريخ الكبير: (لاشيءالبته)[٨٦].

وعن العباس بن مصعب المروزي:

(كان ـ مقاتل ـ حافظا للتفسير، لايضبط الاسناد)[٨٧].

وكان يدعي أنه سمع الضحاك بن مزاحم، وكتب التفسير عنه. وقد أنكر عليه جمع هذا الادعاء من أمثال إبن عيينه، وجويبر، وابراهيم الحربي الذي كان يقول: مات الضحاك قبل أن يولد مقاتل بأربعة سنين[٨٨].

وقال أبو حنيفة ـ متهما له في مذهبه ـ أتانا من المشرق رأيان خبيثان: جهم معطل، ومقاتل مشبه[٨٩].

وكان اسحاق بن ابراهيم الحنظلي يقول:

(أخرجت خراسان ثلاثة لم يكن لهم في الدنيا نظير يعني في البدعة والكذب: جهم، ومقاتل، وعمر بن صبح)[٩٠].

وقال خارجة بن مصعب:

(كان جهم، ومقاتل، عندنا فاسقين فاجرين)[٩١]

وكان خارجة يقول:

(لم أستحل دم يهودي ولا ذمي، ولو قدرت على مقاتل بن سليمان في موضع لايراني فيه أحد لقتلته)[٩٢].

وقال عبد الصمد بن عبد الوارث:

(قدم علينا مقاتل بن سليمان، فجعل يحدثنا عن عطاء، ثم حدثنا بتلك الأحاديث عن ضحاك، ثم حدثنا بها عن عمرو بن شعيب، فقلنا له: ممن سمعتها. قال: منهم كلهم، ثم قال: لا واللّه لا أدري ممن سمعتها)[٩٣].

وعن وكيع:

(أردنا أن نرحل الى مقاتل، فقدم علينا، فأتيناه، فوجدناه كذابا، فلم نكتب عنه)[٩٤].

وكان يتبرع للخلفاء والحكام في وضع الأحاديث على رسول اللّه(ص).

وقال أبو عبيد اللّه وزير المهدي:

(قال لي المهدي: ألا ترى الى مايقول لي هذا، يعني مقاتلا. قال: إن شئت وضعت لك أحاديث في العباس)[٩٥].

وكان معروفا بعدائه لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب(ع)، حتى إنه أراد أن يستخف بقيمة كلمة علي(ع): (سلوني قبل أن تفقدوني)، فقال هو: (سلوني عما دون العرش، حتى أخبركم به)، فقال له يوسف السمتي من حلق رأس آدم أول ما حج. فقال لاأدري[٩٦].

وقال ابراهيم بن يعقوب الجوزجاني:

(مقاتل بن سليمان كان دجالا، جسورا).

وقال النسائي:

(الكذابون المعروفون بوضع الحديث على رسول اللّه(ص) أربعة: إبن أبي يحيى بالمدينة، والواقدي ببغداد، ومقاتل بن سليمان بخراسان، ومحمّد بن سعيد بالشام)[٩٧].

وقال عنه العسقلاني:

(مقاتل بن سليمان: كذبوه، وهجروه، ورمي بالتجسيم)[٩٨].

ذلك على نحو الاجمال حال عكرمة ومقاتل، ولا أخالني بحاجة الى أن أقف أكثر من هذا المقدار عن هذين الرجلين وروايتهما، وتفسيرهما للآية الكريمة، فلنعرض عنهما، ونتعرض لغيرهما من الروايات.

٢ـ رواية إبن عباس:

والرواية الأخرى يرويها الواحدي في أسباب النزول:

(عن أبي القاسم عبد الرحمن بن محمد السراج قال: أخبرنا محمد بن يعقوب قال: أخبرنا الحسن بن علي بن عفان قال: أخبرنا أبو يحيى الحماني، عن صالح بن موسى القرشي عن خصيف عن سعيد بن جبير عن إبن عباس قال: أنزلت هذه الآية في نساء النبي(ص) **﴿ـ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا﴾**[٩٩].

وهذه الرواية فيها أكثر من آفة في سندها: فبعض رواتها مجهولون، وبعضهم لاذكر لهم في كتب الرجال والجرح والتعديل، وبعضهم مذكورون بالضعف ومتهمون بالكذب.

فان أبا يحيى الحماني، وهو عبد الحميد بن عبد الرحمن الحماني مرمي بالارجاء والخطأ[١٠٠] وقيل هو من دعاة المرجئة[١٠١] وقال النسائي: ليس بقوي[١٠٢] وقال ابن سعد وأحمد: كان ضعيفا. وقال العجلي: كوفي ضعيف الحديث مرجيء. وقال ابن معين: كان ثقة، ولكنه ضعيف العقل[١٠٣].

وأما الخصيف الذي يروي الرواية عن سعيد بن جبير، فقد ضعفه أحمد. وقال إبن حنبل عنه: ليس بحجة، ولاقوي في الحديث. وقال أبو حاتم صالح: يخلط، وتكلم في سوء حفظه. وقال ابن المديني: كان يحيى بن سعيد يضعفه. وقال أبو طالب: سئل أحمد عن عتاب بن بشير فقال: أرجو أن لايكون به بأس، روى أحاديث نافرة منكرة، وما أرى إلا انها من قبل خصيف. وقال ابن معين: انا كنا نتجنب حديثه. وقال ابن خزيمة: لايحتج بحديثه. وقال أبو أحمد الحاكم: ليس بالقوي. وقال ابن حبان: تركه جماعة من أئمتنا... الخ[١٠٤]. وقال عنه الذهبي: خصيف بن عبد الرحمن، مولى

بني أمية، صدوق سيىء الحفظ، ضعفه أحمد[١٠٥].

ولا نريد أن نطيل أكثر من هذا في مناقشة سند هذا الحديث، وفي رأينا أن بعض هذا الجهل والضعف الذي يلف سند هذا الحديث يكفي للاعراض عنه.

ومن عجب أن يكون ابن عباس تنتهي اليه هذه الرواية الضعيفة، وقد روي عنه باسناد قوية صحيحة صريحة، وفي كتب معتبرة من كتب الحديث، نزول هذه الأية الكريمة في الخمسة الطيبة: رسول الله(ص) وعلي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) فقط، واختصاصها بهم دون غيرهم، فيعرض الواحد عن تلك الروايات الصريحة الصحيحة، ويذكر هذه الرواية الضعيفة!.

٣ـ رواية واثلة بن الأسقع:

والرواية الثالثة يرويها ابن جرير الطبري قال:

(حدثني عبد الكريم بن أبي عمير، قال: حدثنا الوليد بن مسلم، قال: حدثنا أبو عمر، قال: حدثني شداد أبو عمار، قال: سمعت واثلة بن الأسقع يحدث، قال سألت عن علي بن أبي طالب في منزله فقالت فاطمة: قد ذهب يأتي برسول الله(ص)، اذ جاء فدخل رسول الله(ص) ودخلت فجلس رسول الله(ص) على الفراش وأجلس فاطمة عن يمينه، وعليا عن يساره، وحسنا وحسينا بين يديه، فلفع عليهم بثوبه، وقال: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا﴾ اللهم هؤلاء أهلي، اللهم أهلي أحق. قال واثلة: فقلت: من ناحية البيت، وأنا يارسول الله من أهلك. قال: وأنت من أهلي. قال واثلة: إنها لمن أرجى ما أرتجى)[١٠٦].

ويرويها ابن جرير باسناد آخر:

(قال حدثني عبد الأعلى بن واصل، قال: حدثنا الفضل بن دكين، قال: حدثنا عبد السلام بن حرب عن كلثوم المحاربي عن أبي عمار، قال: إني جالس عند واثلة بن الأسقع إذ ذكروا عليا رضى الله عنه، فشتموه، فلما قاموا قال: إجلس حتى أخبرك عن هذا الذي شتموا. إني عند رسول الله إذ جاء علي وفاطمة وحسن وحسين، فألقى عليهم كساء ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي، اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا. قلت يارسول الله: وأنا. قال: وأنت. قال: فوالله إنها لأوثق عمل عندي)[١٠٧].

ويستوقفنا في رواية واثلة بن الأسقع قبل كل شيء إن واثلة نفسه يروي هذه الرواية من دون الزيادة التي في آخرها.

روى ابن كثير قال:

(قال الامام أيضا: حدثنا محمد بن مصعب، حدثنا الأوزاعي، حدثنا شداد بن عمار، قال: دخلت على واثلة بن الأسقع رضى اللّه عنه، وعنده قوم، فذكروا عليا رضي اللّه عنه، فشتموه، فشتمته معهم، فلما قاموا. قال لي: شتمت هذا الرجل. قلت: قد شتموه فشتمته معهم. قال: ألا أخبرك بما رأيت من رسول اللّه(ص). قلت بلى. قال: أتيت فاطمة رضي اللّه عنها أسألها عن علي رضي اللّه عنه. فقالت: توجه الى رسول اللّه(ص)، فجلست انتظره حتى جاء رسول اللّه(ص) ومعه علي وحسن وحسين. آخذ كل واحدمنهما بيده، حتى دخل فأدنى عليا وفاطمة رضي اللّه عنهما، وأجلسهما بين يديه، وأجلس حسنا وحسينا، رضي اللّه عنهما، كل واحد منهما على فخذه، ثم لف عليهما ثوبه أو قال كساء، ثم تلا صلى اللّه عليه واله وسلم هذه الآية: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا﴾، وقال اللهم هؤلاء أهل بيتي وأهل بيتي أحق)[١٠٨].

وروى الحاكم في المستدرك نحوا من هذه الرواية باسناده الى بشر بن بكر، قال: حدثنا الأوزاعي، حدثنا أبو عمار، حدثني واثلة بن الأسقع، وذكر الرواية قريبا مما تقدم، دون أن يذكر واثلة دخوله ضمن أهل البيت(ع)[١٠٩].

والروايات الثلاث التي عرضناها رويت عن شداد (أبي عمار) عن واثلة بن الأسقع. وفي الأولى والثانية يدخل واثلة من أهل البيت، وفي الثالثة لايدعي الدخول فيهم.

وهذا الاختلاف أول مايثير الريب في النفس من رواية واثلة بن الأسقع. وأغلب الظن إن هذه الاضافة ليست من كلام واثلة بن الأسقع، وإنما أدخلت على روايته بعد ذلك، والا فلا نجد مبررا في إغفالها في الرواية التي نقلناها عنه آنفا، مع أنها أرجى مايرتجيه، وشرف لايضاهيه شرف. فكيف يجوز ان يهمل ذكرها وهو يتحدث عن آية التطهير.

واثلة بن الأسقع:

على أن المرء لايستريح الى مرويات واثلة بن الأسقع، ولاتطمئن لها نفسه، فقد كان واثلة من أصحاب الصفة من أصحاب رسول اللّه(ص)، فلما توفي رسول اللّه(ص) انتقل الى الشام، وبقي فيها، يشهد الغزوات، حتى توفي في أيام عبد الملك، وهو إبن مائة وخمسين سنة. وقال قتادة عنه كان آخر الصحابة موتا بدمشق[١١٠].

ولا نستبعد نحن أن يكون بنو أمية قد استغلوا وجود واثلة في الشام في تمرير جملة من أهدافهم السياسية.

فقد روي عن واثلة بن الأسقع روايات كثيرة في فضل معاوية بن أبي سفيان، اتفق أصحاب الجرح والتعديل على إنها موضوعة على رسول اللّه(ص).

فقد أخرج إبن عساكر وغيره عن واثلة عن رسول اللّه(ص):

(إن اللّه إئتمن على وحيه جبرئيل وأنا ومعاوية وكاد أن يبعث معاوية نبيا، من كثرة علمه، وائتمانه على كلام ربي، يغفر اللّه لمعاوية ذنوبه، ووقاه حسابه، وعلمه كتابه، وجعله هاديا مهديا، وهدى به)[١١١].

قال الحاكم: سأل أحمد بن عمر الدمشقي وكان عالما بحديث الشام عن هذا الحديث، فأنكره جدا[١١٢].

وعن واثلة عن رسول اللّه(ص):

(الأمناء عند اللّه ثلاثة: أنا وجبرئيل ومعاوية)[١١٣].

قال النسائي وابن حيان: هذا الحديث باطل وموضوع[١١٤].

ونقل السيوطي الرواية عن واثلة بن الأسقع بعدة طرق، ونقل اتفاق أئمة الجرح والتعديل على أنها موضوعة وإن اختلفت كلماتهم في الواضع لها.

ويأتيه جمع فيشتمون عليا عليه السلام، فيسكت عنهم، ولايقول شيئا، فاذا ذهبوا عاتب شداد على اشتراكه معهم، وذكر لهم إن آية التطهير نزلت في علي والزهراء والحسن والحسين[١١٥].

شداد (أبو عمار):

ويروي الروايتين عن واثلة بن الأسقع شداد (أبو عمار)، وهو (مولى معاوية بن أبي سفيان)[116]، وهو أول مايدعو للوقوف موقف الارتياب منه في روايته فيما يتعلق بفضائل أهل البيت(ع)، وذكره البخاري ولم يوثقه، وقال: إنه كان يصلي على بعيره في السفر[117].

وروى عن أبي هريرة وعوف بن مالك فيمن روى عنهم، وقال صالح بن محمد: لم يسمع من أبي هريرة ولا من عوف بن مالك[118]، ومع ذلك فهو على رأي صالح بن محمد صدوق!!.

وقد مر عليك قريبا إنه اشترك مع الجمع في شتم علي عليه السلام حتّى اذا انفض الجمع عاتبه واثلة بن الأسقع، فقال شداد: (قد شتموه، فشتمته)[119].

وكيف يمكن أن يطمئن الانسان الى حديث انسان هذا مبلغه من الدين، يرى جمعا يشتمون عليا، فيشتمه معهم، دون أن يتحقق من شخصه أو يتحفظ لدينه، على أن من غير المعقول أن شداد لم يكن يعرف عليا عليه السلام حين شتمه بمحضر واثلة إبن الأسـقع.

وبعد هذه الملاحظات كيف يمكن الاعتماد على هذه الرواية في دخول واثلة بن الأسقع في آل بيت رسول اللّه(ص). وقد وردت روايات صريحة صحيحة صححها أئمـة الحديث ووثقوا رجالها من أن الآية الكريمة نزلت في رسول اللّه(ص) وعلي وفاطمة والحسن والحسين خاصة، لم يشاركهم فيها غيرهم، حتى أن أم سلمة تمنت أن تدخل فيهم، بروايتها هي، فردها رسول اللّه(ص) ردا رقيقا وقال (ص) لها: (مكانك، أنت على خير).

٤ـ رواية أمّ سلمة:

روى إبن جرير عن أبي كريب قال:

(حدثنا خالد بن مخلد، قال: حدثنا موسى بن يعقوب، قال: حدثني هاشم بن هاشم بن عتبة بن أبي وقاص عن عبد اللّه بن وهب بن زمعة، قال: أخبرتني أم سلمة

أن رسول اللّه(ص) جمع عليا والحسنين ثم أدخلهم تحت ثوبه، ثم جار الى اللّه، ثم قال: هؤلاء أهل بيتي، فقالت أم سلمة: يارسول اللّه أدخلني معهم، قال انك من أهلي.(١٢٠)

وقد ورد في سند الرواية موسى بن يعقوب، وخالد بن مخلد. أما الأول فهو موسى بن يعقوب بن عبد اللّه بن وهب بن زمعة بن الأسود. قال عنه علي بن المديني ضعيف الحديث منكر الحديث، قال النسائي: ليس بالقوي، وقال الأثرم سألت أحمد عنه فكأنه لم يعجبه، وقال الساجي: اختلف أحمد ويحيى فيه، قال أحمد: لايعجبني، وقال إبن القطان ثقة(١٢١) وأما الثاني، فهو خالد بن مخلد القطواني أبو الهيثم البجلي. قال عبد اللّه بن أحمد عن أبيه له أحاديث مناكير، وحكى أبو الوليد الباجي في رجال البخاري: عن ابن حاتم انه قال لخالد بن مخلد أحاديث مناكير، وفي الميزان للذهبي: يكتب حديثه ولا يحتج به، وذكره الساجي والعقيلي في الضعفاء(١٢٢).

ولانريد أن نقف عند هذه الرواية طويلا، ولاعند غيرهما من رجال الرواية، ففي الأحاديث الكثيرة الصريحة والصحيحة المروية عن أم سلمة، والتي تقدم بعضها ويأتي بعضها في هذه الرسالة الشريفة مايكفي لرد هذه الرواية، والوقوف في أكثر من حديث روي عنها بسند صحيح انها تمنت أن تدخل في عداد أهل البيت الذين نزلت فيهم آية التطهير، فردها رسول اللّه(ص) برفق، وقال لها: (مكانك، إنك على خير، أو إنك من أزواج النبي)، ولم ينعم لها رسول اللّه.

وليس من الانصاف أن نترك كل الروايات التي روتها أم سلمة، ورواها عنها رجال ثقات صححها أئمة الحديث، ونأخذ بهذا الحديث الذي قرأنا طرفا من سنده.

٥ـ رواية ابن حجر الهيثمي:

ونقل إبن حجر الهيثمي:

(انه (ص) اشتمل على العباس وبينه بملاءة ثم قال: يارب هذا عمي وصنو أبي، وهؤلاء أهل بيتي، فاسترهم من النار كستري اياهم بملاءتي هذه، فأمنت أسكفة الباب وحوائط البيت، فقال آمين، وهي ثلاثا)(١٢٣).

وهـذه الرواية ينقلها إبن حجر من غير اسناد، ولا نعلم من أي مصدر نقل

الحديث لننظر في سند الحديث، ولم نعثر على الرواية مسندة أو غير مسندة في مصدر آخر غير الصواعق من المصادر الموثوقة التي راجعناها للالمام بسند الحديث والفاظه، ويكفي ذلك في وهن الحديث.

على إن لفظ الرواية يكفي وحده، بغض النظر عن سنده في الاعراض عنها وتركها.

فهي في أغلب الظن وضعت في أيام سلطان العباسيين وتسابق الناس الى التقرب الى الخلفاء والعباسيين بوضع أحاديث في فضل العباسيين.

فهذه اسكفة الباب تؤمن ثلاثا على دعاء رسول الله(ص)، وحوائط البيت تقول آمين ثلاثا في التعقيب على دعاء رسول الله(ص).

وبعض هذا يكفي في وهن الرواية وضعفها وتركها ـ فضلا عن أن الرواية لم ترو في مصدر معتبر ـ ولم يذكر لهاسند.

هذا أهم ماعثرنا عليه من الروايات التي تعارض من حيث المضمون الروايات الصحيحة والصريحة الناطقة باختصاص التطهير في آية التطهير برسول الله(ص) وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام.

منها ماتذكر إن آية التطهير تخص زوجات رسول الله(ص)، دون غيرهم، وهي رواية عكرمة. ومنها ماكانت تشرك غيرهم معهم، كرواية ابن عباس وواثلة وغيرهما. وهي جميعا كما يرى القارىء ضعيفة من حيث المتن والسند لايمكن أن تعارض مايأتي من الروايات الصحيحة والصريحة باختصاص التطهير بالخمسة الطيبة.

الآل والأهل في اللغة والحديث:

ويظهر من مراجعة اللغة والحديث ان كلمة (الأهل) و(الآل) لاتطلق على الزوجة الا بقرينة تدل عليه، فاذا خلا الكلام من أي قرينة، فانه يدل على أهله الذين يتصل اليهم بنسب قريب.

يقول إبن المنظور في دلالة كلمة (الآل) و(الأهل) على الزوجة:

(وهذا معنى يحتمله اللسان، ولكنه معنى كلام لايعرف إلا أن يكون له سبب كلام يدل عليه، وذلك أن يقال للرجل: تزوجت، فيقول: ماتأهلت، فيعرف بأول الكلام

إنه أراد ماتزوجت، أو يقول الرجل: أجنبت من أهلي، فيعرف أن الجنابة إنما تكون من الزوجة، فاما أن يبدأ الرجل فيقول: أهلي ببلد كذا، فانا أزور أهلي، وأنا كريم الأهل، فانما يذهب الناس في هذا الى أهل البيت)[١٢٤].

وخلاصته أن كلمة (الآل) و(الأهل) لاتدلان الا على أقرباء الانسان من نسبه، فاذا اقترن الكلام بقرينة أمكن أن تدل الكلمة على الزوجة، كما يقول الرجل: أجنبت من أهلي. وبذلك يظهر أن إطلاق الآل على الزوجة ليس من الاطلاق الحقيقي، وإنما هو من المجاز الذي يحتاج الى القرينة في انصرافه عن معناه الحقيقي.

وقال إبن الأثير:

(قد اختلف من آل النبي(ص) فالأكثر على انهم أهل بيته. قال الشافعي رضي اللّه عنه: دل هذا الحديث (لاتحل الصدقة لمحمد وآل محمد) ان آل محمد هم الذين حرمت عليهم الصدقة وعوضوا منها الخمس، وهم صليبته بنو هاشم وبنو المطلب)[١٢٥].

وبهذا المعنى روى مسلم في الصحيح عن يزيد بن حيان، قال:

(انطلقت أنا وحصين بن سبرة وعمر بن مسلم الى زيد بن أرقم، فلما جلسنا اليه، قال له حصين: لقد لقيت يازيد خيرا كثيرا، رأيت رسول اللّه(ص)، وسمعت حديثه، وغزوت معه، وصليت خلفه. لقد لقيت يازيد خيرا كثيرا. حدثنا يازيد ماسمعت من رسول اللّه(ص). قال: ياابن أخي، واللّه لقد كبرت سني، وقدم عهدي، ونسيت بعض الذي كنت أعي من رسول اللّه(ص)، فما حدثتكم فاقبلوا، ومالا فلا تكلفونيه، ثم قال: قام رسول اللّه(ص) يوما فينا خطيبا بماء يدعى خما بين مكة والمدينة، فحمد اللّه وأثنى عليه، ووعظ، وذكر، ثم قال: أما بعد أيها الناس، فانما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي، فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب اللّه، فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب اللّه، واستمسكوا به، فحث على كتاب اللّه، ورغب فيه، ثم قال: وأهل بيتي، أذكركم اللّه في أهل بيتي، أذكركم اللّه في أهل بيتي.

فقال له حصين: ومن أهل بيته يازيد، أليس نساؤه من أهل بيته. قال نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده).

وفي حديث آخر من مثل ماتقدم في الثقلين، رواه مسلم عن زيد بن أرقم، في

آخرها:

(فقلنا من أهل بيته. نساؤه، قال: لا، وأيم اللّه. إن المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر، ثم يطلقها، فترجع الى أبيها وقومها. أهل بيته أصله وعصبته الذين حرموا الصدقة بعده)[١٢٦].

وإنما نقلنا ماتقدم من اللغة والحديث لنبين أن الآل والأهل لاتشمل الزوجات الا بنحو من التجوز، فاذا أطلقت هذه الكلمة من غير قيد أو قرينة، فانها لاتدل إلا على أقارب الانسان بالنسب، فقط.

وأما (أهل البيت) الذين أذهب اللّه عنهم الرجس في صريح آية من القرآن الكريم فهم الخمسة الطاهرة لاغيرهم من سائر أقرباء النبي وآله وزوجاته، والقول الفصل في ذلك ماتقدم وما يأتي في هذه الرسالة الشريفة من أحاديث صريحة وصحيحة عن رسول اللّه(ص).

سياق الآية الكريمة في سورة الأحزاب:

وأما مسألة السياق، وموقع آية التطهير في سورة الأحزاب المباركة من الآيات المتعلقة بأمهات المؤمنين، والتمسك به على دخول نساء النبي(ص) في آية التطهير، فهو ـ كما يقول الامام شرف الدين[١٢٧] ـ في الاجتهاد في مقابل النص، الذي لايحل لأحد ولايجوز.

فلا يتجاوز التمسك بالسياق أن يكون اجتهادا واستحسانا نابعا من وحدة سياق الكلام، وهو أمر لايمكن التمسك به في قبال النصوص الصحيحة والمتواترة التي تختص الآية الكريمة بالخمسة الطاهرة، رسول اللّه(ص) وعلي والزهراء والحسن والحسين عليهم السلام.

فان القرآن الكريم لم يترتب في الجمع على حسب ترتيبه في النزول باجماع المسلمين كافة، وعلى هذا فالسياق لايكافىء الادلة الصحيحة عند تعارضهما لعدم الوثوق حينئذ بنزول الآية في ذلك السياق، ولذا كان الواجب في مقامنا هذا ترك فحوى السياق لو سلم ظهوره بما زعموا والاستسلام لحكم ماسمعت بعضه من الأدلة القاطعة والحجج الساطعة[١٢٨].

على ان اختلاف الضمائر في هذه الآية الكريمة عما قبلها وبعدها من الآيات يزلزل وحدة السياق من الأساس.

ولكي نيسر لك الأمر نتلو عليك آية التطهير وما قبلها وما بعدها فانظر فيها وامعن النظر في اختلاف الضمائر فيها عما قبلها وبعدها من حيث التذكير والتأنيث، ونحيل القارىء إلى ضميره في الحكم في هذا السّياق:

قال عزّ من قائل:

﴿يانساء النبي لستن كأحد من النساء. ان اتقيتنّ فلا تخضعن بالقول، فيطمع الذي في قلبه مرض، وقلن قولا معروفا. وقرن في بيوتكن، ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى، وأقمن الصلاة، وآتين الزكاة، وأطعن اللّه ورسوله. انما يريد اللّه ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا. واذكرن مايتلى في بيوتكن من آيات اللّه والحكمة إن اللّه كان لطيفا خبيرا﴾.

أرأيت الى اختلاف آية التطهير المباركة عما قبلها وبعدها من الآيات الكريمة، واختلافهن الظّاهر في الضمائر.

فهل تبقى وحدة في السياق، في نظر القارىء حتى يكون السياق معارضا للأدلة القاطعة باختصاص التطهير بالخمسة الطاهرة، فضلا عن إنه من الاجتهاد في قبال النص.

على أن آية التطهير الكريمة، وحدها، كافية لتحديد أهل البيت، الذين أذهب اللّه عنهم الرجس، وطهرهم تطهيرا.

فان الآية الكريمة، بحكم ماتقدم من حديث في تفسير فقراتها صريحة في تنزيه أهل البيت من كل رجس وتطهيرهم، بارادة من اللّه عن كل معصية ومخالفة للّه تعالى، في كل صغيرة أو كبيرة، وذلك معنى العصمة في السلوك.

والآية الكريمة صريحة في إثبات العصمة لأهل البيت، وبعد إثبات هذه الحقيقه لانتوقف كثيرا في معرفة المقصود بأهل البيت الذين أذهب اللّه عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا.

فنأخذ بكل محتملات أهل البيت، وكل من يحتمل دخوله في أهل البيت من زوجات رسول اللّه(ص)، وآل علي، وآل عقيل، وآل جعفر، وآل عباس وغيرهم.

ثم نتساءل عن أمرين إثنين:

١ـ من كان يدعي من هؤلاء الآل العصمة من كل رجس وذنب؟؟

٢ـ واذا اتفق الادعاء من بعضهم، فهل يصدق عمله دعواه أم لا. فنراجع تاريخه وحياته، لنجد هل كان في دعواه صادقا أم لا.

وهذا التساؤل محك دقيق في تحديد وتشخيص المعنيين بالتطهير والعصمة في الآية الكريمة.

وعند مراجعة الفئات المحتملة دخولها في (أهل البيت) في الآية الكريمة، نرى أن هذا الشـرط لم يتـوفر في غير الخمسة الطاهرة في أحد ممن عاصر نزول الآية الكريمة من آل رسول اللّه(ص) وزوجاته.

فلم يكن في زوجـات رسـول اللّه(ص)، وآل عقيل، وآل عبـاس، وآل جعفر وغيرهم ممن ينتمون الى رسول اللّه(ص) بنسب أو سبب من يدعي العصمة، وإن اللّه قد أذهب عنه كل رجس وطهره تطهيرا.

فهو ادعاء شاق أن يكون الانسان واثقا من نفسه ثقة مطلقة، لايخالجه فيها شك انه لن يرتكب مخالفة ومعصية صغيرة كانت أو كبيرة في حياته مطلقا في الرخاء والشدة، واليسر والعسر، والسعة والفقر، وفي الحالات العادية وحالات الغضب.

ولم نعهد نحن مثل هذه الدعوى الكبيرة من أحد ممن ادعى انّه من آل رسول اللّه وغـيرهم في عصـر نزول الآية الكـريمة، عدا الخمسة الطاهرة الذين اتفق المفسرون على شمول الآية الكريمة لهم.

وقـد ظهرت من كثير ممّن ادّعى أنّهم من (أهل البيت) الذين أذهب اللّه عنهم الرجس مخالفات ومعاصي لاتتفق مع التقوى، فضلا عن العصمة والنزاهة عن كل رجس.

ولايبقى غير الخمسة الطاهرة: رسول اللّه(ص) وعلي والزهراء والحسن والحسين عليهم السلام، وهم داخلون في آية التطهير بالتأكيد، وباتفاق الروايات تقريبا.

وينطبق عليهم الشرطان السابقان:

فهم يدعون لأنفسهم العصمة، كما سيمر علينا ذكر ذلك، بينما لم يتفق لأحد من غيرهم من زوجات رسول اللّه(ص) وسائر ذويه مثل هذا الادعاء.

وبالمراجعة الدقيقة لحياتهم، لانكاد نجد في حياة واحد منهم، نقطة خلاف أو مفارقة أو استفهام.

وقد كانت دعوى العصمة معروفة منهم، ومع ذلك لم يحص أحد مفارقة أو خلافا في المراحل المختلفة من حياتهم، رغم أنهم كانوا يعيشون فيها بين الناس، ويسلكون مسالك الناس في الحياة والمعاش، ويقيمون مع الناس، مايقيم الناس بعضهم مع بعض من علاقات إجتماعية، وكانت أعمالهم ومواقفهم تحت الأضواء دائما، وبمرأى ومسمع من الناس.

ولو كانت تصدر عنهم مخالفة أو مفارقة في كلام أو عمل أو موقف.. لنقل الينا، فيما نقل التاريخ من سلوكهم وكلماتهم.

فينحصر أهل البيت الذين أذهب عنهم الرجس في عصر نزول الآية الكريمة إذن في الخمسة الطاهرة.

ويتلخّص مما تقدم النقاط التالية:ـ

١ـ لاشك في شمول الآية الكريمة للخمسة الطاهرة عليهم السلام، بموجب كل الروايات المنقولة، عدا مايروى عن عكرمة.. وقد عرفنا حاله وحال روايته، فيكون شمول الآية الكريمة لهم اذن موضع الاتفاق على كل تقدير، على تقدير الاستناد على الروايات، وعلى تقدير الاستناد على اطلاق كلمة (أهل البيت) في الآية الكريمة.

وأما زوجات النبي (ص) وسائر ذويه، فلا تشملهم الآية الكريمة الا بناء على الاستناد على اطلاق كلمة أهل البيت.

والاستناد على اطلاق كلمة أهل البيت لايزيد على أن يكون من الاجتهاد، وهو أمر مقبول، إلا أن هذا الاجتهاد يسقط في قبال النصوص الواردة في حصر أهل البيت الذين أذهب اللّه عنهم الرجس في الخمسة الطاهرة فحسب، وبذلك لايبقى لهذا الاطلاق والاجتهاد محل في البحث.

٢ـ ومع غض النظر عن النصوص والأحاديث الواردة، فان الآية الكريمة تشمل باطلاقها الخمسة الطاهرة، وأمهات المؤمنين وسائر أهل بيت رسول اللّه(ص) على نحو سواء، إلا أن الآية الكريمة تنفي عنهم الرجس أيضا نفيا قاطعا، وتثبت لهم

العصمة من كل رجس وذنب بموجب ماتقدم من تحليل في هذا البحث. وهو خير محك لاختبار صحة التمسك باطلاق الآية الكريمة، ومن يدعي دخول هذه الآية، استنادا على اطلاق كلمة أهل البيت.

فيخرج من نطاق هذه الآية، رأساً، من كان لايدعي مثل هذه العصمة المطلقة، أوكان سلوكه وعمله ينفي هذه العصمة.

٣ـ وبمراجعة تاريخ أمهات المؤمنين وسائر ذوي رسول اللّه(ص) من غير الخمسة الطاهرة الذين سميناهم، نرى أن هذا الشرط غير متحقق فيهم قطعا، فلم يعهد منهم مثل هذا الادعاء أبداً.

والانسان أدرى بنفسه من غيره، ولو أنهم كانوا يرون في أنفسهم هذه الموهبة الالهية لعرف عنهم ذلك واشتهر، ثم لاتخلو حياتهم بعد ذلك من مفارقات كبيرة أو صغيرة، مما ينفي قطعا احتمال دخولهم في أهل البيت الذين أذهب اللّه عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا.

٤ـ وأما الخمسة الطاهرة عليهم السلام، فانهم لم يخفوا دعوى العصمة، ولايجد انسان مشقة كبيرة أن يستظهر ادعاء العصمة المطلقة من خلال كلامهم.

ثم لم يصدر عنهم مطلقا، ماينافي هذا الادعاء على امتداد حياتهم وعلاقاتهم الاجتماعية ومواقفهم رغم أنهم عليهم السلام مروا بظروف سياسية واجتماعية دقيقة، وتعرضوا لكثير من التحدي والظلم والخصومات السياسية، وكانت الدواعي متوفرة في تسجيل المفارقات والخلافات عليهم لو انهم كانوا يرتكبون شيئا منها في حياتهم.

وادعاء العصمة نفسها كافية في أن تعرضهم لكثير من التحدي من قبل خصومهم الكثيرين، في النيل من مكانتهم وسمعتهم الدينية.

وبذلك فان الآية الكريمة، بنفسها، وبغض النظر عن الأحاديث المتواترة الواردة في تفسيرها تكفي في تحديد وتعيين أهل البيت الذين أذهب اللّه عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا.

﴿ويطهركم تطهيرا﴾..

وهذه الكلمة، بعد قوله تعالى: ليذهب عنكم الرجس، إمعان في التنزيه والتطهير والعصمة لأهل البيت عليهم السلام.

فكأنما الآية الكريمة تشير الى أن اللّه تعالى بعد أن أذهب عنهم الرجس، فخلت نفوسهم وصدورهم من أي رجس وذنب، طهر اللّه قلوبهم وصدورهم، بعد ذلك من آثار الرجس أيضا، فلم يبق في نفوسهم رجس أو أثر لرجس، يأتي من البيئة أو التاريخ مهما كان ضعيفا أو قليلا.

فان ذهاب الرجس لايعني دائما ذهاب آثاره ومخلفاته في النفس.

وفي أهل البيت عليهم السلام: أذهب اللّه عنهم الرجس، ثم طهرهم تطهيرا، فلم يترك في نفوسهم الطاهرة الشريفة أثرا لرجس أو ذنب أو هوى.

وهذا غاية مايمكن أن يوصف به مقام العصمة والنزاهة والسمو الروحي في ولي من أولياء اللّه. ممن اختارهم اللّه واجتباهم لرسالته ودعوته وللامامة في خلقه.. فلا يجوز أن يذهب اللّه تعالى من الانسان الرجس، ويطهره تطهيرا بمشيئته وقدرته... وبعد ذلك كله يبقى في نفس هذا الانسان رجس أو أثر من الرجس، يبعثه على ارتكاب ذنب أو مخالفة صغيرة أو كبيرة.

فالآية الكريمة ـ إذن ـ واضحة الدلالة على العصمة، لو أننا تعاملنا معها بما نتعامل مع أي كلام عربي مبين، فضلا عن إنه أفضل الكلام وأبينه، وأمتنه.

وقد ورد بهذه الصيغة القوية الواضحة المبينة: ﴿إنما يريد اللّه ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا﴾.. وكما هي واضحة في معنى العصمة.. واضحة أيضا في تحديد أهل البيت الذين أذهب اللّه عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، وهم الخمسة الذين صرح بهم رسول اللّه(ص) وآله وتواترت بهم الروايات.

١ـ رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم.

٢ـ وأبي الحسن علي بن أبي طالب عليه السلام.

٣ـ والصديقة الزهراء عليها السلام.

٤ـ والامام المجتبى الزكي الحسن بن علي عليه السلام.

٥ـ والامام سيد الشهداء أبو عبد اللّه الحسين عليه السلام.

نتائج البحث عن آية التطهير

التنزيه من الكذب:

وأهم ما نستنتجه من البحث في آية التطهير أن هؤلاء الخمسة من أهل البيت عليهم السلام صادقون، لايجوز عليهم الكذب، ولايجوز إسناد الكذب اليهم.

فان الكذب من افحش الرجس الذي نزههم اللّه تعالى عنه، والصدق من أول معاني طهارة النفس التي حباهم اللّه تعالى بها.

فاذا صح عنهم قول أو رواية فانهم لاشك صادقون، لايجوز أن نسند الكذب اليهم، ولايجوز أن نشك في صدق كلامهم أو روايتهم، فان تكذيبهم في قول أو رواية تكذيب لآية محكمة من كتاب اللّه نزلت في تنزيههم من كل رجس، وتطهيرهم من كل ذنب وريب.

ومن هذا المنطلق الواضح القوي، ننطلق في استعراض مكانة أهل البيت ومراتبهم التي رتبهم اللّه تعالى فيها، وأشخاصهم الذين اجتباهم اللّه تعالى في كل عصر أئمة لعباده وهداة الى دينه.

وفيما يأتي نستعرض هذه النقاط بايجاز:

١ـ خلافة أمير المؤمنين وإمامته بعد رسول اللّه(ص). وهو أمر لايشك فيه من استعرض طرفا من سيرة أبي الحسن علي بن أبي طالب عليه السلام. فقد كان يرى انه هو صاحب الحق في إمامة الأمة وخلافة رسول اللّه(ص) بعد وفاته(ص)، وقد علم الكل برأي الامام عليه السلام في حقه في الأمر، والاطالة فيه إطالة في الواضحات.

وإنما لم يسلك عليه السلام مسلك المعارضة في حياته مع الخلفاء الذين تولوا الأمر بعد رسول اللّه(ص) واحدا بعد آخر، ودافع عنهم، ونصحهم، وبذل أقصى

مايمكن من جهد في نصيحتهم والدفاع عنهم وحفظ شؤونهم... إيمانا منه عليه السلام بأن مصلحه الاسلام الكبرى في وحدة صف المسلمين ووحدة موقفهم وكلمتهم فوق أي اعتبار آخر. ولايجوز التفريط في هذا الأمر لأحد من المسلمين.

ولذلك كله زجر أبا سفيان عندما عرض عليه أن يبايعه، يوم السقيفة، ويملأ الدار خيلا ورجلا. ورد العباس عم رسول اللّه(ص) عندما عرض عليه البيعة فقال: امدد يدك أبايعك فيقول الناس عم رسول اللّه بايع إبن عم رسول اللّه، رد اولئك جميعا إيثارا لوحدة صف المسلمين وحفظ حرمة كيان الدولة الاسلامية، بعد أن واجه الأمر الواقع.

واسمعه عليه السلام في خطبته الشقشقية يروي هذه القصة بلهجة حزينة، في شقشقة هدرت ثم قرت:

(أما واللّه لقد تقمصها فلان، وانه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرحا، ينحدر عني السيل ولايرقى الي الطير، فسدلت دونها ثوبا وطويت عنها كشحا، وطفقت أرتأي بين أن أصول بيد جذاء أو أصبر على طخية عمياء، يهرم فيها الكبير، ويشيب فيها الصغير، ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربه فرأيت ان الصبر على هاتا أحجى، فصبرت وفي العين قذى وفي الحلق شجا، أرى تراثي نهبا... الخ)[١٢٩].

خلافة علي(ع) في روايات اهل البيت:

وقد تواتر النقل عنه عليه السلام أن رسول اللّه(ص) قد عينه من بعده خليفة له(ص)، وإماما على المسلمين واليك بعضا من هذه الروايات:

١ـ فقد أخرج في اكمال الدين بالاسناد الى الأصبغ بن نباته قال، خرج علينا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ذات يوم ويده في يد إبنه الحسن، وهو يقول: خرج علينا رسول اللّه(ص) ويده في يدي هكذا وهو يقول خير الخلق بعدي وسيدهم أخي هذا، وهو إمام كل مسلم وأمير كل مؤمن بعد وفاتي.

٢ـ وأخرج الصدوق في الاكمال أيضا بسنده الى الامام الرضا عن آبائه مرفوعا الى رسول اللّه(ص) قال: من أحب أن يتمسك بديني، ويركب سفينة النجاة بعدي، فليقتد بعلي بن أبي طالب، فانه وصيي وخليفتي على أمتي.

٣ـ وأخرج الصدوق في الاكمال في حديث طويل ذكر فيه اجتماع أكثر من مئتي رجل من المهاجرين والأنصار في المسجد على عهد عثمان، يتذاكرون العلم والفقه، وإنهم تفاخروا بينهم، وعلي ساكت، فقالوا له ياأبا الحسن: مايمنعك أن تتكلّم، فذكرهم بقول رسول اللّه(ص): (علي أخي ووزيري ووارثي ووصيي وخليفتي في أمتي، وولي كل مؤمن بعدي) فأقروا له بذلك.

٤ـ وأخـرج الصدوق بسنده الى علي عليه السلام في حديث طويل قال فيه رسول اللّه(ص): إن عليا أمير المؤمنين بولاية من اللّه عز وجل، عقدها فوق عرشه، وأشهد على ذلك ملائكته، وإنه لامام المسلمين.

٥ـ وأخرج الصدوق في أماليه بسنده الى أمير المؤمنين قال:

(خطبنا رسول اللّه(ص) ذات يوم، فقال: أيها الناس قد أقبل شهر رمضان، ثم ساق الحديث في فضل شهر رمضان. قال علي: فقلت يارسول اللّه، ماأفضل الأعمال في هذا الشهر. قال: الورع عن محارم اللّه، ثم بكى، فقلت: مايبكيك، فقال: ياعلي: ابكي لما يستحل منك في هذا الشهر الى ان قال ياعلي أنت وصيي وأبو ولدي، وخليفتي على أمتي في حياتي وبعد موتي، أمرك أمري، ونهيك نهيي).

٦ـ وأخرج الصدوق في أماليه أيضا عن علي عليه السلام قال:

(قال رسول اللّه(ص) ياعلي أنت أخي وأنا أخوك، أنا المصطفى للنبوة، وأنت المجتبى للامامة، أنا صاحب التنزيل، وأنت صاحب التأويل، وأنت أبو هذه الأمة. ياعلي: أنت وصيي وخليفتي ووزيري ووارثي وأبو ولدي.

٧ـ أخرج الشيخ في أماليه بالاسناد الى علي عليه السلام انّه قال على منبر الكوفة:

(أيها الناس انه كان لي من رسول اللّه عشر خصال هن أحب الي مما طلعت عليه الشمس.

قال لي: ياعلي أنت أخي في الدنيا والآخرة، وأنت أقرب الخلائق الي يوم القيامة، ومنزلك في الجنة مواجه منزلي، وأنت الوارث لي، وأنت الوصي من بعدي في عداتي وأسـرتي، وأنت الحـافظ لي من أهلي عند غيبتي، وأنت الامام لأمتي، وأنت القائم بالقسط في رعيتي، وأنت وليي ووليي ولي اللّه، وعدوك عدوي، وعدوي عدو اللّه).

٨ـ أخرج الصدوق في كتاب النصوص على الأئمة باسناده الى الحسن بن علي، قال:

(سمعت رسول اللّه(ص) يقول لعلي: أنت وارث علمي ومعدن حكمي، والامام من بعدي).

٩ـ وأخرج الصدوق في كتاب النصوص على الأئمة أيضا بسنده الى علي، قال: قال رسول اللّه (ص):

(أنت الوصي على الأموات من أهل بيتي، والخليفة على الأحياء من أمتي).

١٠ـ وأخرج الصدوق في أماليه بسنده الى الامام الرضا عن آبائه مرفوعا الى رسول اللّه(ص)، قال:

(علي مني وأنا من علي. قاتل اللّه من قاتل عليا، علي إمام الخليقة بعدي)[١٣٠].

وكيفما يكون الأمر والنقاش، فان من الواضح أن أهل البيت الطاهرين عليهم السلام، كانوا يرون ان أمر الامامة والخلافة بعد رسول اللّه(ص) لعلي عليه السلام، وإن شككنا في صحة اسناد رواية أو روايتين اليهم في هذا الشأن، فلا يمكن التشكّك في صحة اسناد عامة الروايات المنقولة عنهم عليهم السلام بالتواتر، عن طرق السنة والشيعة في أن رسول اللّه(ص) قد أسند أمر الامامة من بعده الى علي عليه السلام.

وقد كانت دعوى الامامة معروفة من أهل البيت عليهم السلام عند عامة المسلمين. والشيعة لم يبتدعوا في ذلك رأيا أو مذهبا جديدا، وإنما يذهبون في ذلك مذهب آل البيت وهو شيء معروف عن آل البيت وشيعتهم قديما وحديثا.

٢ـ استمرار الامامة في آل البيت عليهم السلام:

وهذا المعنى وارد بصراحة في حديث الثقلين الذي نقله متواتراً وصحح كثيرا من أسانيده أئمة الحديث من الفريقين.

(اني تارك فيكم خليفتين: كتاب اللّه حبل ممدود مابين السماء والأرض، وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض)[١٣١].

وهذا الحديث صريح في استمرار أهل البيت الذين جعلهم اللّه أئمة على خلقه وأدلة على صراطه الى يوم القيامة (حتى يردا عليّ الحوض) باستمرار الثقل الأول وهو القرآن الكريم.

يقول ابن حجر الهيثمي:

(وفي أحاديث الحث على التمسك بأهل البيت إشارة الى عدم انقطاع متاهّل منهم للتمسك به الى يوم القيامة، كما أن الكتاب العزيز كذلك، ولهذا كانوا أمانا لأهل الأرض، كما يأتي، ويشهد لذلك الخبر السابق: في كل خلف من أمتي عدول من أهل بيتي)[١٣٢].

استمرار الامامة في اهل البيت بعد علي(ع):

وقد ورد تسلسل أسماء أهل البيت الذين جعلهم اللّه تعالى أئمة للناس، واحدا بعد الآخر، وعصمهم اللّه من كل رجس وذنب وريب في أحاديث أهل البيت أنفسهم، اجمالا وتفصيلا وتلميحا وتصريحا، وكثير من هذه الروايات وردت بطرق صحيحة.

ويكفينا ونحن نعرف خمسة منهم، شملتهم آية التطهير في عصر نزولها، أن نتعرف الى أسماء غيرهم ممن يخلفونهم في الامامة، والعصمة عن طريقهم، ثم نعرف من يليهم من بعدهم في الامامة والعصمة بواسطتهم وهكذا بالتسلسل.

وفيما يأتي نماذج من هذه الأحاديث:

١ـ أخرج الصدوق في إكمال الدين باسناده عن علي عليه السلام قال:

(قال رسول اللّه(ص): الأئمة بعدي إثني عشر: أولهم أنت ياعلي، وآخرهم القائم الذي يفتح اللّه عز وجل على يديه مشارق الأرض ومغاربها).

٢ـ وأخرج الصدوق في كتاب النصوص على الأئمة، بسنده الى الحسين بن علي عليهما السلام، قال:

(لما أنزل اللّه تعالى: ﴿وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب اللّه﴾ سألت رسول اللّه(ص) عن تأويلها، فقال: أنتم أولو الأرحام، فاذا مت فأبوك علي أولى بمكاني، فاذا مضى أبوك فأخوك الحسن أولى به، فاذا مضى الحسن فأنت أولى به).

٣ـ وأخرج الصدوق في الاكمال بالاسناد الى الامام الصادق عن آبائه مرفوعا الى رسول اللّه(ص) قال:

(إن اللّه عز وجل إختارني من جميع الأنبياء، واختار مني عليا وفضله على جميع الأوصياء، واختار من علي الحسن والحسين، واختار من الحسين الأوصياء من ولده،

ينفون عن الدين تحريف الضالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الضالين).

٤ـ وأخرج الصدوق في الاكمال أيضا بسنده الى الامام الرضا عليه السلام عن أبيه عن آبائه مرفوعا الى رسول اللّه(ص) من حديث قال فيه:

(أنا وعلي أبوا هذه الأمة، من عرفنا فقد عرف اللّه، ومن أنكرنا فقد أنكر اللّه عز وجل، ومن علي سبطا أمتي، وسيدا شباب أهل الجنة، الحسن والحسين، ومن ولد الحسين تسعة طاعتهم طاعتي، ومعصيتهم معصيتي، تاسعهم قائمهم ومهديهم).

٥ـ وأخرج الصدوق أيضا بسنده الى الامام الصادق عن أبيه عن جده قال: قال رسول اللّه(ص):

(الأئمة بعدي اثنا عشر أولهم علي، وآخرهم القائم، هم خلفائي وأوصيائي)[١٣٣].

والروايات بهذا المعنى كثيرة من أهل البيت في تعيين وتشخيص الاثنى عشر إماما الذين يتولون الامامة من بعد رسول اللّه(ص) واحدا بعد الآخر، والذين يشكلون امتدادا لأهل البيت الذين أذهب اللّه عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا.

وقد أورد ثقة الاسلام محمد بن يعقوب الكليني في الكافي مجموعة الروايات التي تنص على إمامة كل واحد من أئمة أهل البيت عليهم السلام واحدا بعد الآخر من لدن أهل البيت أنفسهم[١٣٤].

ولايمكن التشكيك في هذه المجاميع من الروايات الكثيرة التي وردت بصورة متسلسلة في تعيين الامام من أهل البيت في كل عصر، فقد وردت هذه الروايات بصورة متواترة، وكثيرة منها بأسانيد حسنة، على أن تواترها يغنينا عن البحث في أسانيدها.

وإذا آمنا بطهارة الخمسة من أهل البيت من كل رجس وعصمتهم من كل ذنب وريب.. فلابد لنا أن نعترف بامامة جميع الاثني عشر إماما الذين ورد التصريح بأسمائهم في هذه الروايات بالتسلسل، وعصمتهم، واستمرار العصمة والامامة فيهم الى الامام المهدي القائم من آل محمد(ص).

ولاينافي امتداد العصمة والامامة في أهل البيت ماتقدم من الروايات في أنها نزلت في الخمسة الطاهرة فحسب، فان هذه الروايات لاتزيد على حصر أهل البيت الذين كانوا موجودين حين نزول الآية الكريمة في الخمسة الطاهرة، ولاتنفي هذه الروايات

امتداد أهل البيت في العصور الأخرى، بل بالعكس تصرح بامتداد أهل البيت في كل عصر واستمرار الامامة والعصمة فيهم الى إثني عشر إماما منهم.

الاثنا عشر خليفة في الاحاديث النبوية:

وقد وردت إشارات الى هذا المعنى في الأحاديث النبوية الواردة عن طرق السنة أيضا، منها مارواه البخاري في الصحيح عن جابر بن سمرة قال:

(سمعت النبي(ص) يقول: يكون إثنا عشر أميرا، فقال كلمة لم أسمعها، فقال أبي إنه قال كلهم من قريش)[١٣٥].

ومنها مارواه مسلم في الصحيح عن رسول اللّه(ص):

(لايزال الدين قائما حتى تقوم الساعة، أو يكون عليكم إثنا عشر خليفة كلهم من قريش)[١٣٦].

ومنها مارواه أحمد في المسند عن مسروق قال:

كنا جلوسا عند عبد اللّه بن مسعود، وهو يقرئنا القرآن، فقال له رجل: ياأبا عبد الرحمن، هل سألتم رسول اللّه(ص) كم يملك هذه الأمة من خليفة، فقال عبد اللّه: ماسألني عنها أحد منذ قدمت العراق قبلك، ثم قال نعم: ولقد سألنا رسول اللّه(ص)، اثنى عشر كعدة نقباء بني اسرائيل)[١٣٧].

وروى نظير هذه الأحاديث مع اختلاف في المضمون كل من أبي داود والبزّاز والطبراني بطرق مختلفة[١٣٨]. وليس لهذه الأحاديث من توجيه غير الحمل على الأئمة الاثني عشر من أهل البيت الذين وردت أسماؤهم في روايات أهل البيت.

ولقد نشط ناس من العلماء في توجيه وحمل هذه الروايات، وتكلفوا لها وجوها، فيها كثير من الضعف، وقليل من الصواب.

يقول الشيخ محمود أبورية:

(بعد أن أورد ـ السيوطي ـ ماقاله العلماء في هذه الأحاديث المشكلة، خرج برأي غريب نورده هنا تفهكة للقراء، وهو: (وعلى هذا فقد وجد من الاثني عشر الخلفاء الأربعة والحسن ومعاوية وإبن الزبير وعمر بن عبد العزيز، هؤلاء ثمانية، ويحتمل أن يضم اليهم المهدي من العباسيين لأنه فيهم كعمر بن عبد العزيز في بني

أمية، وكذلك لما أوتيه من العدل، وبقى الاثنان، المنتظران أحدهما المهدي لأنه من أهل بيت محمد) ولم يبين المنتظر الثاني، ورحم اللّه من قال في السيوطي إنه حاطب ليل)[١٣٩].

ولئن شط السيوطي وغيره في توجيه هذه الروايات النبوية، فقد اهتدى في توجيهها نفر غير قليل من علماء السنة، كسبط ابن الجوزي الذي ألف (تذكرة الخواص) في أحوال الأئمة الاثني عشر من آل البيت، وابن صباغ المالكي الذي ألف (الفصول المهمة) في حياتهم، وابن طولون الذي ألف كتاب (الأئمة الاثني عشر) وغيرهم.

ومهما يكن من أمر، فان التسليم بدلالة آية التطهير في عصمة الخمسة من آل البيت من الرجس والريب يؤدي بنا بصور منطقية الى عصمة الأئمة الاثني عشر عليهم السلام كلهم ونزاهتم من كل رجس وريب.

حجّــيّة أحاديث أهل البيت(ع):

وهذه النتيجة من النتائج الكبرى المترتبة على هذه الآية الكريمة، وهي نتيجة فعلية قائمة في حياة كل انسان مسلم يريد أن يتعبد باحكام اللّه ويلتزم بحدود اللّه تعالى في الحلال والحرام، ويسأل عن أي مصدر يستقي ويأخذ أحكام اللّه تعالى.

وهذه هي أهم المسائل التي يواجهها الانسان المسلم في الجانب العقائدي وفي الجانب التشريعي أيضا. ومن استعراض هذه النتيجة نعرف لماذا يقتصر علماء الشيعة الامامية في معرفة أحكام اللّه تعالى على مذهب أهل البيت. ولايأخذون بمذهب الجمهور في الاعتماد على اجتهاد الأئمة الأربعة.

وفيما يلي نشرح هذه الحقيقة في مجموعة من النقاط التي تشكل أسس مذهب اهل البيت عليهم السلام.

مذهب أهل البيت(ع)

١ـ أهل البيت صادقون منزهون عن الكذب:

وهي أدنى مراتب العصمة في حياتهم، كما ان الكذب من أفحش الرجس الذي نزههم الله تعالى عنها، ولايجوز لمسلم أن يشك في صدق حديثهم وروايتهم، وقد أذهب الله عنهم الرجس، وطهرهم تطهيرا، والكذب من أفحش الرجس الذي برأهم الله منه.

والى حدما يتطابق الفريقان السنة والشيعة في هذه الحقيقة، فلم أصادف فيما قرأت من كتب الجرح والتعديل والرجال من كتب أئمة السنة من لاينزه ساحة الأئمة الاثني عشر عليهم السلام من كل رجس وكذب وريب.

٢ـ أهل البيت يروون حديث رسول الله(ص):

وليس شأنهم عليهم السلام شأن سائر المجتهدين وأئمة المذاهب الاسلامية في الاعتماد على الرأي والاجتهاد في دين الله، ولايصح تسميتهم بالمجتهدين وأصحاب الرأي، والمجتهد قد يصيب وقد يخطئ، والحالات التي يخطىء فيها لاتقل عن الحالات التي يصيب فيها حكم الله تعالى.

وأهل البيت عليهم السلام لايدخلون قطعا في عداد هؤلاء المجتهدين وأصحاب الآراء، ولامذهب لهم من الرأي والاجتهاد، وإنما هم ينقلون حديث رسول الله(ص) ويحملون الينا ميراث رسول الله(ص).

فكل حديث صادر عنهم في الأصول أو الأحكام ليس من رأيهم، وليس فيه شيء من اجتهادهم مطلقا، ولم يمارسوا فيه رأيا أو اجتهادا، كما يمارسه سائر الفقهاء، وإنما

يستندون في ذلك الى سنة رسول اللّه(ص) انتهى علمها اليهم، ويروونها عنهم، سواء رووها كما يروي عامة المحدثين الحديث مسلسلا الى رسول اللّه(ص)، أم أرسلوها ارسالا. وهم عليهم السلام قد بينوا هذا المعنى في أكثر من موضع، وإنهم لايزيدون شيئا على سنة رسول اللّه(ص) ولاينقصون، ولا يستعملون رأيا في الفقه، وكلما يقولون في الأصول والفروع إنما هو من سنة رسول اللّه(ص) وحديثه الذي انتهى اليهم عليهم السلام.

وفيما يلي نذكر بعض النصوص الواردة عنهم عليهم السلام في هذا الأمر:

١ـ روى الثقة الكليني عن علي بن محمد عن سهل بن زياد عن أحمد بن محمد عن عمر بن عبد العزيز عن هشام بن سالم وحماد بن عثمان وغيره، قالوا: سمعنا أبا عبد اللّه (الصادق) عليه السلام يقول:

(حديثي حديث أبي، وحديث أبي حديث جدي، وحديث جدي حديث الحسين، وحديث الحسين حديث الحسن، وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين عليه السلام، وحديث أمير المؤمنين حديث رسول اللّه(ص) وحديث رسول اللّه(ص) قول اللّه عز وجل)[١٤٠].

٢ـ وروى ثقة الاسلام الكليني رحمه اللّه عن علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن داود بن فرقد، عمن حدثه إبن شبرمة قال: ماذكرت حديثا سمعته عن جعفر بن محمد (الصادق) الا كاد أن يتصدع قلبه. قال: حدثني أبي عن جدي عن رسول اللّه(ص). وقال ابن شبرمة: وأقسم باللّه ماكذب أبوه على جده، ولاجده على رسول اللّه. قال: قال رسول اللّه(ص):

(من عمل بالمقاييس فقد هلك وأهلك، ومن (أفتى الناس بغير علم)، وهو لايعلم الناسخ من المنسوخ والمحكم من المتشابه فقد هلك وأهلك)[١٤١].

٣ـ وروى في أمالي المفيد قال: حدثني الشيخ الجليل المفيد محمد بن محمد بن النعمان، قال: أخبرني أبو القاسم جعفر بن محمد بن محمد القمي(ره) قال: حدثنا أحمد إبن محمد بن عيسى، قال: حدثني هارون بن مسلم بن علي بن أسباط، عن سيف بن عميرة، عن عمرو بن شمر، عن جابر، قال: قلت لأبي جعفر(ع): اذا حدثني بحديث فاسنده لي فقال حدثني أبي عن جدي رسول اللّه(ص) عن جبرئيل عن اللّه عز

وجل، وكلما أحدثك بهذا الاسناد. وقال:

(ياجابر: حديث واحد تأخذه عن صادق، خير لك من الدنيا ومافيها)[١٤٢].

٤ـ روى الحر العاملي في الوسائل عن علي بن موسى بن جعفر بن طاووس في كتاب الاجازات قال: مما رويناه من كتاب حفص بن البختري قال: قلت لأبي عبد اللّه عليه السلام: نسمع الحديث منك فلا أدري منك سماعه أو من أبيك، فقال:

(ماسمعته مني فاروه عن أبي، وماسمعته مني فاروه عن رسول اللّه(ص))[١٤٣].

٥ـ في بصائر الدرجات: حدثنا إبراهيم بن هاشم عن يحيى بن أبي عمران، عن يونس، عن عنبسة، قال:

(سأل رجل أبا عبد اللّه عن مسألة فأجابه فيها، فقال الرجل: إن كان كذا ماكان القول فيها، فقال له: مهما أجبتك فيه بشيء فهو عن رسول اللّه، لسنا نقول برأينا من شيء)[١٤٤].

٦ـ وروى ثقة الاسلام الكليني، عن علي بن محمد بن عيسى،عن يونس، عن قتيبة، قال:

(سأل رجل أبا عبد اللّه (الصادق) عليه السلام عن مسألة، فأجابه فيها، فقال الرجل: أرأيت إن كان كذا وكذا مايكون القول فيها. فقال له: مه، ماأجبتك فيه من شيء فهو عن رسول اللّه، لسنا من:أرأيت في شيء)[١٤٥].

٧ـ وروى في بصائر الدرجات قال: حدثنا يعقوب بن يزيد عن محمد بن أبي عمير، عن عمرو بن اذينة، عن الفضيل بن يسار، عن أبي جعفر (الباقر) عليه السلام إنه قال:

(لو انا حدثنا برأينا ضللنا كما ضل من كان قبلنا، ولكنا حدثنا ببينة من ربنا، بينها لنبيه، فبينها لنا)[١٤٦].

٨ـ وفي الكتاب نفسه، حدثنا أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن فضيل إبن يسار،عن جعفر (الصادق) عليه السلام، إنه قال:

(بينة من ربنا بينها لنبيه (ص)، فبينها نبيه(ص) لنا، فلولا ذلك كنا كهؤلاء الناس)[١٤٧].

٩ـ وفي الكتاب نفسه أيضا، حدثنا عبد اللّه بن عامر، عن عبد اللّه بن محمد

الحجال، عن داود بن أبي يزيد الأحول، عن أبي عبد اللّه (الصادق) عليه السلام، قال سمعته يقول:

(إنا لو كنا نفتي الناس برأينا وهوانا لكنا من الهالكين، ولكنها آثار من رسول اللّه(ص) أصل علم نتوارثها كابرا عن كابر نكنزها، كما يكنز الناس ذهبهم وفضتهم)[148].

١٠ـ وفيه أيضا: حدثنا حمزة بن يعلي، عن أحمد بن النضر، عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبي جعفر (الباقر) عليه السلام، قال: ياجابر:

(إنا لو كنا نحدثكم برأينا وهوانا لكنا من الهالكين، ولكنا نحدثكم بأحاديث نكنزها عن رسول اللّه(ص)، كما يكنز هؤلاء ذهبهم وفضتهم)[149]/[150].

٣ـ النص قبل الاجتهاد:

وانطلاقا مما تقوم فان أحاديث أهل البيت عليهم السلام وأقوالهم ليست من الرأي والاجتهاد في شيء، وإنما هي سنة رسول اللّه(ص) وآثاره أودعها عند أهل بيته، وتوارثوها عليهم السلام عنه(ص)، ونقلوها الينا في الأصول والأحكام، وسجلها عنهم الثّقات من المحدّثين.

فاذا آمنا ـ بموجب دلالة آية التطهير ـ بأنهم مطهرون من كل كذب وريب، وصادقون فيما يقولون ويروون، فلا يجوز العدول عن أحاديثهم الى الاجتهاد والرأي، وإن كان اجتهادا ورأيا في حديث رسول اللّه(ص).

فان من غير الجائز ممارسة الاجتهاد، والأخذ بالرأي مع وجود النص الصريح، فان الاجتهاد إنما يضطر اليه الفقيه عند اجمال السنة، أو غموضه من حيث المتن، أو ضعفه من حيث السند، أو تعارضه في المدلول مع حديث آخر، أو فقدان الدليل من الكتاب والسنة رأسا. أما حيث يوجد دليل من الكتاب أو سنة رسول اللّه(ص)،ونص في الحكم الشرعي، واضح الدلالة وقوي السند، فلا مساغ لاستعمال الرأي وممارسة الاجتهاد مطلقا، باتفاق من علماء الأصول.

ولما كان حديث أهل البيت نصوص من سنة رسول اللّه(ص)، بحكم ماتقدم من صدقهم، وإنهم لايزيدون على رواية حديث رسول اللّه(ص)، فلا يسوغ اللّجوء الى

الاجتهاد والرأي قبل الرجوع اليهم.

ويترتب على ذلك أمران جوهريان:

أولا: لايمكن اعتبـار اتجاه أهل البيت عليهم السلام في الأصول والأحكام الاسـلامية مذهبا في عداد المذاهب الاسلامية الأخرى في الأصول والفروع، فان المعنى الاصطلاحي للمذهب، الاتجاه القائم على الرأي والاجتهاد الخاص في فهم الاسلام أصولا، وأحكاما. وإذا كان أهل البيت ينفون عن أنفسهم واتجاههم أي رأي أو اجتهاد شخصي، وإنما ينقلون الينا بأمانة وصدق سنة رسول اللّه(ص) وحديثه، فاتجاههم لايشكل مذهبا في الاسلام، بالمعنى المصطلح المعروف من المذهب.

وثـانيا: يعتقـد الشيعة إنه من غير السائغ الرجوع الى مذهب من المذاهب الفقهية والأصولية، وممارسة مذهب جديد فيهما قبل الرجوع الى أحاديث أهل البيت وكلماتهم والـتراث التشـريعي المنقول عنهم، فان ممارسة الاجتهاد في قبال كلماتهم وأحاديثهم من قبيل الاجتهاد في قبال النص، وهو أمر غير جائز قطعا.

٤ـ كيف استقى أهل البيت(ع) من رسول اللّه(ص):

وهو سؤال لاشك يختلج في ذهن الانسان، وهو يواجه هذا التراث الضخم الذي ورثه أهل البيت عليهم السلام عن رسول اللّه(ص) من الأصول والأحكام، وفي الكليات والجزئيات والتفريعات الدقيقة للأحكام، وفي التفسير والأخلاق والتاريخ.

والجواب: إننا بعدما عرفنا في آية محكمة في كتاب اللّه إنهم صادقون، لايقولون كذبا ولايدعون باطلا... فانا غير مسؤولين بعد ذلك أن نعرف كيف تلقوا العلم عن رسـول اللّه(ص)، وفي أي فرصـة طويلة، كان علي عليه السـلام يخلو الى رسول اللّه(ص)، ليأخذ منه العلم، ليتسلسل هذا العلم بعد ذلك في أبنائه، إماما بعد إمام.

فان كيفيات التلقي للعلم مختلفة. وليست كلها بالكيفيّات التي نعرفها، في تلقي الطلّاب عن أساتذتهم، فإنّ من هذه الكيفيّات ماهو معروف، يتداوله النّاس، وماهو من الغيب الذي ستر اللّه تعالى عنّا علمه، ولايمكن أن يدّعي أحد أنّ التلقّي للعلم ينحصر في هذه الكيفية المعروفة الشّائعة فيما بين النّاس في المدارس والمعاهد.

والقرآن الكريم ينقل لنا قصة الذي آتاه اللّه علما من الكتاب في جهاز سليمان

عليه السلام، حيث جاء بعرش بلقيس الى سليمان من سبأ، قبل أن يرتد الى سليمان طرفه:

﴿وقال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أي يرتد اليك طرفك﴾[١٥١].

فما هذا العلم؟ ومن أين تلقاه؟ وكيف تلقاه؟

لانعلم، وإنما نعلم أن هذا الشيء قد حدث، وكان فعلا، والقرآن صرح به... وكفى.

ومثل آخر في القرآن الكريم، العبد الصالح الذي آتاه اللّه تعالى من لدنه علما، وطلبه كليم اللّه تعالى موسى عليه السلام ليتبعه، ليتعلم منه مما علمه اللّه تعالى رشدا، وهو كليم اللّه تعالى وصفيه ونجيبه ورسوله.

ويصف القرآن الكريم لقاء موسى عليه السلام بالعبد الصالح بهذا الوصف الرائع:

﴿فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما. وقال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا﴾[١٥٢].

فهذا عبد من عباد اللّه تعالى، آتاه اللّه من لدنه رحمة، وآتاه من لدنه علما، وجاء اليه موسى عليه السلام، وهو رسول اللّه وكليمه، يطلب منه أن يأذن له بأن يتبعه ويعلم منه مما علمه اللّه رشدا.

فكيف استقى هذا العبد الصالح هذا العلم الغزير من لدن اللّه، والذي كان يجهله موسى عليه السلام على ماله من الشأن والمقام عند اللّه، وكيف أخذ هذا العلم، وكيف استوعبه. وتلك أمور مجهولة لنا، ولسنا مسؤولين بأن نتكلف له جوابا مادمنا قد عرفنا صحته من مصدر صادق لايرقي اليه الشك.

وتوجيه طريقة تلقي أهل البيت هذا العلم الغزير والجم من علم رسول اللّه(ص) وسنته لايختلف أمره من هذا الأمر، ولسنا نجد الزاما لنا في أن نتكلف له جوابا وتوجيها.

ويكفينا أن نعلم أن اللّه تعالى قد طهرهم من كل ريب ورجس. والكذب من أوضح مصاديق الرجس، فهم منزهون عن الكذب، ولايرقى الشك الى صدقهم.

فاذا ذكروا بأنهم قد ورثوا علم رسول اللّه(ص) وسنته في الأصول والفروع،

وإن لديهم من علم رسول اللّه(ص) وحديثه وسنته، ماليس عند غيرهم، فهم مصدقون في كلامهم ودعوتهم، ونعلم أنهم لايدعون جزافا وباطلا، فنأخذ عنهم العلم والحديث والفقه في الحلال والحرام، وفي الأصول والأحكام، وفي حدود اللّه وشريعته، ونتعبد بأحاديثهم ورواياتهم على أنها أحاديث رسول اللّه(ص) ورواياته صحت عنه بطريق صادق سليم لايرقى اليه الشك، وقد جاء قرآن محكم من لدن اللّه بصدقهم ونزاهتهم عن الكذب.

على أننا لانعدم بعض الايضاحات في هذا الشأن من أهل البيت عليهم السلام بالذات، نشير الى طرف منها.

أ ـ رسول اللّه(ص) يخص عليّاً(ع) بما لايخص به غيره من العلم:

١ـ روى ثقة الاسلام الكليني رحمه اللّه، عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن حماد بن عيسى، عن إبراهيم بن عمر اليماني، عن أبان بن أبي عياش في حديث طويل، عن سليم بن القيس الهلالي، يسأل الامام عليا عليه السلام فيه عن علمه من رسول اللّه وعلم سائر الصحابة، والحديث طويل، ننقل مقدار الحاجة. قال عليه السلام:

(وليس كل أصحاب رسول اللّه(ص) كان يسأله عن الشيء فيفهم، وكان منهم من يسأله ولايستفهمه، حتى ان كانوا ليحبون أن يجييء الاعرابي والطارىء فيسأل رسول اللّه(ص) حتى يسمعوا.

وقد كنت أدخل على رسول اللّه(ص) كل يوم دخلة، وكل ليلة دخلة، فيخليني فيها أدور معه حيث دار، وقد علم أصحاب رسول اللّه(ص) إنه لم يصنع ذلك بأحد من الناس غيري، فربما كان في بيتي يأتيني رسول اللّه(ص) أكثر ذلك في بيتي وكنت إذا دخلت عليه بعض منازله اخلاني، وأقام عني نساءه، فلا يبقى عنده غيري، وإذا أتاني للخلوة معي في منزلي لم تقم عني فاطمة ولا أحد من بني. وكنت إذا سألته أجابني، واذا سكت عنه، وفنيت مسائلي ابتدأني، فما نزلت على رسول اللّه(ص) آية من القرآن الا أقرأنيها وأملاها علي، فكتبتها بخطي، وعلمني تأويلها وتفسيرها وناسخها ومنسوخها ومحكمها ومتشابهها وخاصها وعامها، ودعا اللّه أن يعطيني فهما وحفظا، فما نسيت آية من كتاب اللّه تعالى، ولا علما أملاه علي وكتبته منذ دعا لي بما دعا، وما ترك

شيئا علمه اللّه من حلال ولا حرام ولا أمر ولانهي، كان أو يكون، ولا كتاب منزل على أحد قبله من طاعة أو معصية الا علمنيه وحفظته، فلم أنس حرفا واحدا، ثم وضع يده على صدري، ودعا اللّه لي أن يملأ قلبي علما وفهما وحكما ونوراً، فقلت يانبي اللّه: بأبي أنت وأمي منذ دعوت اللّه لي بما دعوت، لم أنس شيئاً ولم يفتني شيء لم أكتبه، أفتتخوف علي النسيان فيما بعد. فقال: لا، لست أتخوف عليك النسيان والجهل)[١٥٣].

٢ـ وروى الحر العاملي في وسائل الشيعة عن محمد بن يعقوب، عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن علي بن الحكم، عن سيف بن عميرة، عن أبي الصباح، قال:

(واللّه لقد قال لي جعفر بن محمد (الصادق)(ع) ان اللّه علم نبيه التنزيل والتأويل، فعلمه رسول اللّه عليا، ثم قال: وعلمنا واللّه)[١٤٥].

ب ـ الكتاب الذي أملاه رسول اللّه(ص) على علي عليه السلام في الأحكام، واسم هذا الكتاب (الجامعة)، وقد أملاه رسول اللّه(ص) في مجالسه الخاصة على علي عليه السلام، وخطه علي عليه السلام بيمناه، وهو كتاب يشمل كل ما يتعلق بالحلال والحرام وحدود اللّه تعالى، بل في بعض الروايات على القرآن والانجيل والزبور، وقد ورد انه كان بمقدار سبعين ذراعاً، وكان الأئمة من أهل البيت يحفظونه ويكنزونه جيلا بعد جيل، كما يكنز الناس ذهبهم وفضتهم أو أشد حفظاً، وكانوا يرجعون اليه كلّما أحوجهم الأمر اليه.

١ـ روي في بصائر الدرجات عن علي بن الحسن بن الحسين السحاني عن محول ابن إبراهيم عن أبي مريم، قال: قال لي أبو جعفر (الباقر):

(عندنا الجامعة، وهي سبعون ذراعاً، فيها كل شيء حتى إرش الخدش، إملاء رسول اللّه(ص) وخط علي(ع))[١٥٥].

٢ـ وفي بصائر الدرجات أيضاً، عن أحمد بن محمد عن الحسن بن علي، عن عبداللّه بن سنان، عن أبي عبداللّه (الصادق) عليه السلام، قال: سمعته يقول:

(إن عندنا جلداً سبعون ذراعاً، أملي (أملاه: ظاهراً) رسول اللّه(ص) وخطه علي بيده، وإن فيه جميع ما يحتاجون إليه حتى إرش الخدش)[١٥٦].

٣ـ وروى ثقة الاسلام الكليني رحمه اللّه، عن عدة من أصحابنا، عن أحمد بن

محمد، عن صالح بن سعيد، عن أحمد بن أبي بشير، عن بكر بن كرب الصيرفي، قال: سمعت أبا عبدالله (الصادق) عليه السلام يقول:

(إنّ عندنا ما لانحتاج معه إلى الناس، وإن الناس ليحتاجون الينا، وإن عندنا كتاب: إملاء رسول اللّه(ص)، وخط علي(ع)، صحيفة فيها كل حلال وحرام)[١٥٧].

٤ـ وفي بصائر الدرجات، عن محمد بن الحسين، عن جعفر بن بشير، عن الحسين، عن أبي مخلد، عن عبدالملك، قال: دعا أبو جعفر (الباقر) بكتاب علي، فجاء به جعفر (الصادق) مثل فخذ الرجل مطوي، فاذا فيه (إن النساء ليس لهن من عقار الرجل اذا هو توفى عنها شيء) فقال أبو جعفر: هذا واللّه إملاء رسول اللّه(ص) وخطه علي بيده[١٥٨].

٥ـ وروى الشيخ الطوسي رحمه اللّه في التهذيب، عن موسى بن القاسم، عن صفوان، عن علاء، عن محمد بن مسلم، عن أحدهما عليهما السلام (الباقر أو الصادق) قال:

(إنّ في كتاب علي(ع): إذا طاف الرجل بالبيت ثمانية أشواط الفريضة، واستيقن ثمانية، أضاف إليها ستاً، وكذا إذا استيقن انه سعى ثمانية أضاف إليها ستاً).

٦ـ وفي رجال النجاشي، قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن سعيد، عن محمد بن أحمد، عن الحسن، عن عباد بن ثابت، عن ابن مريم عبدالغفار بن القاسم، عن عذافر الصيرفي، قال: كنت مع الحكم بن عتيبة عند أبي جعفر (الباقر)(ع)، فجعل يسأله، وكان أبو جعفر(ع) له مكرماً، فاختلفا في شيء، فقال: أبو جعفر (الباقر)(ع): يا بني، قم، فاخرج كتاباً مدروجاً عظيماً، ففتحه وجعل ينظر حتى أخرج المسألة، فقال أبو جعفر الباقر: هذا خط علي(ع) وإملاء رسول اللّه(ص)[١٥٩][١٦٠].

أئمة أهل البيت(ع) يتوارثون كتاب الجامعة:

وقد كان أهل البيت عليهم السلام يتوارثون كتاب الجامعة جيلاً بعد جيل، وواحداً بعد آخر، ويروون عنه سنة رسول اللّه(ص) وحديثه.

١ـ في بصائر الدرجات، حدثنا الحسن بن علي عن أحمد بن هلال، عن أمية بن علي، عن حصاد بن عيسى، عن إبراهيم بن عمر اليماني، عن أبي الطفيل، عن أبي

جعفر عليه السلام، قال:

(قال رسول اللّه(ص) لأمير المؤمنين (علي): اكتب ماأملي عليك. قال علي(ع): يا نبي اللّه، وتخاف النسيان. قال: لست أخاف عليك النسيان، وقد دعوت اللّه أن يحفظك فلا ينسيك، لكن اكتب لشركائك. قال: قلت: ومن شركائي يا نبي اللّه. قال: الأئمة من ولدك)[١٦١].

٢ـ وروي في بصائر الدرجات، عن أبي القاسم، عن محمد بن يحيى العطار، قال: حدثنا محمد بن الحسن الصفار، قال: حدّثنا محمد بن الحسين، عن صفوان، عن المعلّى بن خنيس، عن أبي عبداللّه (الصادق) عليه السلام، قال:

(إن الكتب كانت عند علي(ع)، فلما سار إلى العراق استودع الكتب أم سلمة، فلما مضى علي(ع) كانت عند الحسن، فلما مضى الحسن(ع) كانت عند الحسين(ع)، فلما مضى الحسين كانت عند علي بن الحسين ثم كانت عند أبي)[١٦٢].

٣ـ وفي الكافي، عن سليم بن قيس، قال: شهدت وصية أمير المؤمنين حين أوصى إلى إبنه الحسن(ع)، وأشهد على وصيته الحسين ومحمد وجميع ولده ورؤساء شيعته وأهل بيته، ثم دفع إليه الكتاب والسلاح وقال لأبنه الحسن:

(يا بني: أمرني رسول اللّه(ص) أن أوصي إليك، وأن أدفع إليك كتبي وسلاحي، كما أوصي إلي رسول اللّه(ص)، ودفع إلي كتبه وسلاحه، وأمرني أن أمرك إذا حضرك الموت أن تدفعها إلى أخيك الحسين، ثم أقبل على إبنه الحسين، فقال: وأمرك رسول اللّه(ص) أن تدفعه إلى إبنك هذا، ثم أخذ بيد علي بن الحسين، ثم قال لعلي بن الحسين، وأمرك رسول اللّه(ص) أن تدفعها إلى إبنك محمد بن علي، واقرأه من رسول اللّه(ص) ومني السلام)[١٦٣].

٤ـ وفي كتاب الغيبة للشيخ الطوسي، ومناقب إبن شهر آشوب، عن المفضل، قال: قال لي أبو جعفر (الباقر):

(لما توجه الحسين(ع) إلى العراق، دفع إلى أم سلمة زوج النبي(ص) الوصية والكتب وغير ذلك، وقال لها: إذا أتاك أكبر ولدي، فادفعي إليه ما دفعت إليك، فلما قتل الحسين(ع)، أتى علي بن الحسين أم سلمة، فدفعت إليه كل شيء أعطاها الحسين(ع))[١٦٤].

٥ـ وفي الكافي واعلام الورى وبصائر الدرجات وبحار الأنوار واللفظ للأول، عن عيسى بن عبدالله، عن أبيه، عن جده، قال:

(التفت علي بن الحسين إلى ولده، وهو في الموت، وهم مجتمعون عنده، ثم التفت إلى محمد بن علي إبنه، فقال: يا محمد: هذا الصندوق، فاذهب به إلى بيتك، ثم قال: أما إنه ليس فيه دينار ولا درهم، ولكنه كان مملوء علمًا)(١٦٥)

٦ـ وفي بصائر الدرجات والبحار، عن عيسى بن عبدالله بن عمر، عن جعفر إبن محمّد (الصّادق)، قال:

(لما حضر علي بن الحسين الموت، قبل ذلك أخرج السفط والصندوق عنده، فقال يا محمد: إحمل هذا الصندوق، قال: فحمل بين أربع رجال، فلما توفي، جاء أخويه يدعون في الصندوق، فقالوا: أعطنا نصيبنا من الصندوق، فقال، والله مالكم فيه شيء، ولو كان لكم فيه شيء ما دفعه إلي، وكان في الصندوق سلاح رسول الله(ص) وكتبه)(١٦٦).

٧ـ وعن زرارة، عن أبي عبدالله (الصادق)(ع) قال:

(ما مضى أبو جعفر حتى صارت الكتب إلي)(١٦٧).

٨ـ وعن عنبسة العابد، قال:

(كنا عند الحسين ابن عم جعفر بن محمد، وجاءه محمد بن عمران، فسأله كتاب أرض، فقال: حتى أخذ ذلك من أبي عبدالله (الصادق)(ع) قال: قلت له وما شأن ذلك عند أبي عبدالله(ع)، قال: إنها وقعت عند الحسن، ثم عند الحسين، ثم عند علي إبن الحسين، ثم عند أبي جعفر عليه السلام، ثم عند جعفر، فكتبناه من عنده)(١٦٨).

٩ـ وفي غيبة النعماني والبحار، عن حمّاد الصائغ قال: سمعت المفضل بن عمر يسأل أبا عبدالله (الصادق) ـ إلى قول حمّاد ـ ثم طلع أبو الحسن موسى بن جعفر (الصادق) فقال له أبو عبدالله(ع) (يسرك أن تنظر إلى صاحب كتاب علي، فقال المفضل: وأي شيء أعظم من ذلك، فقال: هو هذا صاحب كتاب علي...)(١٦٩).

١٠ـ وفي الكافي وإرشاد الشيخ المفيد وغيبة الشيخ الطوسي والبحار، عن نعيم القابوسي، عن أبي الحسن موسى (بن جعفر) قال:

(إبني علي أكبر ولدي، وأبرهم عندي، وأحبهم إلي، وهو ينظر معي في الجفر، ولم

ينظر فيه إلا نبي أو وصي)[170].

١١ـ وفي رجال الكشي والبحار، عن نصر بن قابوس، قال: إنه كان في دار الامام الكاظم، فأراه إبنه الامام الرضا، وهو ينظر في الجفر، فقال:

(هذا إبني علي والذي ينظر فيه الجفر)[171].

٥ـ إسناد الشيعة إلى أهل البيت(ع):

وإذا تعيّن الأخذ بأحاديث أهل البيت عليهم السلام، وعلمنا أن حديثهم من حديث رسول اللّه(ص)، وعلمهم من ميراث رسول اللّه(ص)، ولا مساغ لأحد في الاجتهاد مع وجودهم، أو مع وجود أحاديث لهم في الأصول والأحكام... أقول إذا تعيّن ذلك فلا يبقى لاخواننا من السنة غير سؤال واحد، وهو:

ان حديث أهل البيت عليهم السلام، لم يرو ـ في الغالب ـ إلا عن طرق الشيعة وأسانيدهم، وأهل السنة لا يعرفون هذه الطرق.

والجواب: إن علماء السنة لا يشترطون في صحة الرواية غير الوثوق إلى صدق الراوي وحفظه، فاذا وثقوا بصدق الراوي وضبطه، وسلامة الطريق من حيث الأمانة والصدق، لم يترددوا في التمسك بالرواية، وإن كان الراوي على غير عقيدة أهل السنّة ومذهبهم.

وقد ورد كثير من رجال الشيعة في أسانيد الصحاح الستة وطرقهم، وأخذ كبار المحدثين من السنة من أمثال البخاري ومسلم وأحمد والنسائي وإبن ماجة وغيرهم عن مشايخ الشيعة ـ علمًا بأنهم من الشيعة ـ وإنهم يختلفون معهم في العقيدة والمذهب. ومع ذلك، فلم يمنعهم ذلك من الأخذ برواياتهم، والاعتماد عليها.

وقد ذكر الامام شرف الدين رحمه اللّه مائة من رجال الشيعة في أسانيد السنة وطرقهم، على سبيل المثال والاستشهاد، لا الاستقصاء[172].

وجرى على هذه السيرة السّلف من كلا الفريقين السنّة والشيعة، فكان الشيعة يعتمدون في طرقهم ورواياتهم على الثّقات من السنّة، والسنّة يعتمدون لذلك على الثّقات من الشيعة.

فهذا أبان بن تغلب الكوفي، إحتجَّ به مسلم وأصحاب السنن الأربعة، وأبو داود

والترمذي والنسائي وإبن ماجة، ووثقه أحمد بن حنبل وإبن معين وأبو حاتم، وكان شيعياً معروفاً، يقول الذهبي في الميزان في ترجمته:

(أبان بن تغلب الكوفي شيعي جلد، لكنه صدوق، فلنا صدقه، وعليه بدعته).

وإسماعيل بن زكريا الأسدي الخلقاني، روى عنه البخاري ومسلم، وترجم له الذهبي فقال: (صدوق شيعي)، وعده ممن احتج به أصحاب الصحاح الستة.

وحبيب بن أبي ثابت الكاهلي الكوفي التابعي عده من رجال الشيعة كل من إبن قتيبة في المعارف، والشهرستاني في الملل والنحل، وإحتج به في الصحاح الستة جميعاً بلا تردد.

والحسن بن حي، وإسم حي (صالح) كان من أعلام الشيعة، ذكره إبن سعد في الطبقات (ج٦)، فقال:

(كان ثقة صحيح الحديث، كثيره. وكان متشيعاً، واحتج به مسلم وأصحاب السنن).

وقد روى عنهمسلم في الصحيح، عن كل من سماك بن حرب وإسماعيل السدي وعاصم الأحول، وهارون بن سعد.

وقد أخذ عنه عبيد الله بن موسى العبسي ويحيى بن آدم وحميد بن عبدالرحمن الرواسي وعلي بن الجعد وأحمد بن يونس وسائر أعلام طبقتهم، وذكر الذهبي في ترجمته من الميزان: (إن ابن معين وغيره وثقوه)، وذكر الذهبي أن أبا حاتم قال إنه ثقة حافظ متقن، وإن أبا زرعة قال: (إجتمع فيه إتقان وفقه وعبادة وزهد، وإن النسائي وثقه، وإن أبا نعيم قال: (كتبت عن ثمان مائة محدث، فما رأيت أفضل من الحسن بن صالح).

والحكم بن عتيبة الكوفي نص على تشيعه إبن قتيبة وعده من رجال الشيعة في معارفه، احتج به البخاري ومسلم.

وخالد بن مخلد القطواني شيخ البخاري في صحيحةذكره إبن سعد في (ج٦) من طبقاته (٢٥) فقال: (وكان متشيعاً وفي التشيع مفرطاً)، وكتبوا عنه، وذكره أبو داود فقال: (صدوق لكنه يتشيع).

إحتج به البخاري ومسلم في مواضع من صحيحيهما، وأصحاب السنن كلهم

يحتجون بحديثه، وهم يعلمون بمذهبه، وغيرهم من رجال الشيعة كثيرون في طرق السنة واسنادهم ممن احتج بهم الشيخان البخاري ومسلم، واستند إليهم أرباب السنن، واعتبروهم من حفظة ميراث الرسالة.

ولو أن أهل السنة الغوا روايات الشيعة وردوها رأساً لذهبت جملة من الآثار النبوية، كما يعترف بذلك الذهبي في الميزان في ترجمة أبان بن تغلب[١٧٣].

وهذا عبدالرزاق بن هـمّام بن نافع الحميري الصنعاني مشبوه إلى التشيع[١٧٥] ومع ذلك فقد وثقه الائمة كلهم إلا أبو العباس بن عبدالعظيم فتكلم بكلام وافرط فيه ولم يوافقه عليه أحد[١٧٦]، وقال عنه إبن عدي رحل إليه ثقات المسلمين وكتبوا عنه إلّا انهم نسبوه إلى التشيع وهو أعظم ماذموه به، وأما الصدق فارجوا انه لا بأس به[١٧٧] واحتج به الشيخان البخاري ومسلم[١٧٨].

وكلمات علماء الجرح والتعديل من اعلام أهل السنة تشهد على ذلك، فقد ورد توثيق ابان بن تغلب وهو شيعي صـدوق بالتشيع كما ذكرنا على لسان طائفة من علماء الجرح والتعديل والرواة والمحدثين كالحاكم في المستدرك وإبن عجلان العقيلي رغم تصريحه بانه كان غالياً في التشيع وابن سعد وإبن حيان والازدي[١٧٩].

هؤلاء كلهم صرحوا بوثاقته مع علمهم بانه شيعي وتصريحهم بذلك في بعض الكلمات.

ويقول إبن حجر العسقلاني في مقدمة (فتح الباري): (واعلم انه قد وقع من جماعـة الـطّعن في جماعـة بسبب اختلافهم في العقائد فينبغي التنبيه لذلك وعدم الاعتداد به الا بحـق، وكذا عاب جماعة من الورعين جماعة دخلوا في أمر الدنيا فضعفوهم لذلك، ولا أثر لذلك التضعيف من الصدق والضبط)[١٨٠].

ويحتج الخطيب البغدادي على قبول الثّقات من غير أهل السنة بتدوين أهل العلم من المحدثين قديماً وحديثاً لرواياتهم والاحتجاج بأخبارهم، ويقول الخطـيب عن هذه الســيرة المعـروفة لدى المحدثين بانّه أكبر الحجج وبه يقوى الظن في مقارنة الصواب يقول الخطيـب (فاحتجوا برواية... عبيد الله بن موسى وخالد بن مخلد وعبدالرزاق بن همام، وكانوا يذهبون إلى التشيع في خلق كثير لم يتسع ذكرهم، دوّن أهل العلم قديماً وحديثاً رواياتهم، واحتجوا بأخبارهم، فصار ذلك كالاجماع، وهو أكبر

الحجج في هذا الباب)[١٨١].

وفي مقابل ذلك أيضاً ورد ذكر ثقات من السنة في أحاديث الشيعة، وتمسك بها علماء الشيعة من غير تأمل، كاسماعيل بن أبي زياد السكوني وحفص بن غياث وغياث بن كلوب ونوح بن دراج وغيرهم من اعلام العامة ورواتهم، كما يقول العلامة في الخلاصة)[١٨٢].

فلا يشترط في صحة الرواية إذن أكثر من الوثوق بالراوي، وصدقه، وأمانته، وضبطه، فاذا تأكدوا من ذلك، فان أصحاب السنن والصحاح والأصول لم يترددوا في الأخذ بروايته، وروايتها والعمل بها.

والشيعة لا يكونون أقل حرصاً من اخوانهم السنة في الراوي وصدقه وأمانته وضبطه، وهذه كتبهم في الرجال والجرح والتعديل، تشهد في هذه الناحية، إلى حدود القسوة، ولا تسلم الرواية عندهم ما لم يتأكدوا من صدق الراوي وضبطه وأمانته وتدينه.

فلا مبرر إذن للتردد في التمسك بروايات أهل البيت عليهم السلام في الحلال والحرام، وفي الأصول والعقائد بحجة أن روايات أهل البيت وردت في الغالب عن طرق شيعية لا يعرفها أهل السنة.

ولانشك نحن أن في أسانيد وطرق وروايات أهل البيت طرقاً ضعيفة لا يمكن الاعتماد عليها.

غير أن الأساس السليم في مثل هذا الموقف أن ينتقي الفقيه السني منها ما تجتمع فيه شروط الرواية الصّحيحة من حيث السند والمتن، ويترك غيره، كما يعمل علماء الشيعة، ما دام ان الرواية عن الشيعة ليس بأمر محظور، وما دام ان كلمات أهل البيت عليهم السلام وأحاديثهم لا تزيد أن تكون روايات عن رسول اللّه(ص)... فلا يبق إلّا التحري في أسانيد هذه الروايات وطرقها، والتأكّد منها، وانتقاء الصحيح منها، كما يفعل اخواننا السنة بالأحاديث النبوية الواردة عن طرقهم، وكما يفعل الشيعة بالروايات الواردة عن رسول اللّه وأهل بيته عن طرقهم بالذات.

والحمد للّه رب العالمين...

الهوامش:

(١) وقد كان رسول اللّه(ص) يطلب من أصحابه تدوين السنّة والحديث وضبطه وإبلاغ من لم يحضر الحديث به. ففي خطبة رسول اللّه (ص) المعروفة بمسجد خيف، قال(ص): (نضر اللّه عبداً سمع مقالتي فوعاها ثمّ أدّاها إلى من لم يسمعها، فرُبَّ حامل فقه لا فقه له، ورُبَّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه) ـ مستدرك الحاكم (ج١/ ص ٨٧).

وعن رسول اللّه(ص): (تسمعون ويسمع منكم، ويسمع من الذين يسمعون منكم) ـ مستدرك الحاكم (ج١/ ص ٩٥).

وقد كان عبدالله بن عمرو يكتب عن رسول اللّه (ص)، فقال: (يارسول اللّه أكتب ما أسمع منك. قال: نعم. قلت: عند الغضب وعند الرضا، قال: نعم، إنّه لا ينبغي لي أن أقول إلاّ حقّاً)ـ مستدرك الحاكم (ج١/ص ١٠٥).

ونهت قريش عبداللّه بن عمرو أن يكتب عن رسول اللّه (ص)، فأمسك عبداللّه، يقول: فذكرت ذلك لرسول اللّه (ص)، فقال: (إكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج منه إلاّ حقّاً، وأشار بيده إلى فيه)ـ مستدرك الحاكم (ج١/ص ١٠٦).

وعن عبداللّه بن عمرو، عن رسول اللّه (ص) قال: (قيّدوا العلم. قلت: وما تقييده. قال: كتابته)ـ مستدرك الحاكم (ج١/ص ١٠٦).

(٢) صحيح مسلم (ج١/ص ٢٤٢)، وسنن أبي داود (ج٢/ص ٢٨٠)، وموطأ مالك (ج١/ص ١٤٧)، وسنن إبن ماجة (ج١/ص ١٨٨)، وصحيح الترمذي (ج١/ص ١٠٦)، وسنن النسائي (ج٣/ص ١٨٤)، وسنن البيهقي (ج٣/ص ٢٩٤)، واللفظ لإبن ماجة ـ نقلاً عن الغدير (ج٦/٢٢٠).

(٣) صحيح مسلم (ج١/ص ١٩٣)، ورواه في الغدير (ج٦/ص ٨٣)، عن سنن أبي داود (ج١/ص ٥٣)، وسنن إبن ماجة (ج١/ص ٢٠٠)، ومسند أحمد (ج٤/ص ٢٦٥)، وسنن النسائي (ج١/ص ٥٩،٦١)، وسنن البيهقي (ج١/ص ٢٠٩).

(٤) الأصول العامة للفقه المقارن/ص ١٧٢ـ نقلاً عن تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية/ص ١٢٣.

(٥) الغدير/(ج٦/ص ٩٢)ـ نقلاً عن سنن الدّارمي (ج١/ص ٥٠) وما بعده.

(٦) مستدرك الصحيحين/للحاكم/(ج١/ص ١٠٢).

(٧) مستدرك الصحيحين/(ج١/ص ١١٠).

(٨) تذكره الحفّاظ/(ج١/ص ٧)، مجمع الزوائد/(ج١/ص ١٤٩)ـ نقلاً عن الغدير/(ج٦/ص ٢٩٤).

(٩) تاريخ إبن الكثير/(ج٨/ص ١٠٧)ـ نقلاً عن الغدير/(ج٦/ص ٢٩٤).

(١٠) تنوير الحوالك/للسيوطي/(ج١/ص ٤).

(١١) ومن عجب أنّ رسول اللّه (ص) كان يشير إلى حدوث مثل هذه الظاهرة في الاقتصار على

كتاب اللّه والتثاقل عن رواية الحديث ونقله.

روى الحاكم في المستدرك (ج١/ص ١٠٨)، عن عبيد اللّه بن أبي رافع، عن أبيه، عن النبي (ص) قال: (لا ألفين أحدكم متّكئاً على أريكته، يأتيه الأمر من أمرى مما أمرت به أو نهيت عنه، فيقول ما أدري: ما وجدنا في كتاب اللّه اتبعناه).

وروى الحاكم أيضاً (ج١/ص ١٠٩) عن عبيد اللّه بن أبي رافع أنّ رسول اللّه (ص) قال: (لا أعرفنّ الرجل متكئاً يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه، فيقول: ما ندري، هذا هو كتاب اللّه، وليس هذا فيه).

وعنه أيضاً في (ج١/ص ١٠٩)، أنّ رسول اللّه (ص) قال: (والناس حوله: لا أعرفنّ أحدكم يأتيه أمر من أمرى قد أمرت به أو نهيت عنه، وهو متكىء على أريكته، فيقول ما وجدنا في كتاب اللّه عملنا به وإلاّ فلا).

وروى الحاكم أيضاً في (ج١/ص ١٠٩)، عن مقدام بن معد يكرب صاحب رسول اللّه (ص) يقول: حرم النبي (ص) أشياء يوم خيبر، منها الحمار الأهلي وغيره، فقال رسول اللّه (ص): يوشك أن يقعد الرجل منكم على أريكته، يحدّث بحديثي، فيقول بيني وبينكم كتاب اللّه، فما وجدنا فيه حلالاً إستحللناه، وما وجدنا فيه حراماً حرّمناه، وإنّما حرّم رسول اللّه (ص) كما حرّم اللّه.

(١٢) تنوير الحوالك/(ج١/ص ٤ـ٥).
(١٣) تنوير الحوالك/(ج١/ص ٥).
(١٤) تنوير الحوالك.
(١٥) مقدمة فتح الباري/للعسقلاني/(ص ٤ و ٥).
(١٦) عالم الحجاز والشام، وتوفى سنة ١٢٤.
(١٧) تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية/ص ١٩٥، ١٩٨ـ نقلاً عن الأضواء لإبن رية/ص ٢٢٦.
(١٨) إرشاد الساري/للقسطلاني/(ج١/ص ٣٣) نقلاً عن الغدير/(ج٥/ص ٢٩١).
(١٩) تاريخ الخطيب البغدادي/(ج٦/ص ٣٥٢)ـ نقلاً عن الغدير/(ج٥/ص ٢٩٢).
(٢٠) الغدير/(ج٥/ص ٢٩٢).
(٢١) صحيح مسلم/(ج١/ص ٩).
(٢٢) صحيح مسلم/(ج١/ص ١٣).
(٢٣) صحيح مسلم/(ج١/ص ١١).
(٢٤) الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة/ص ٥٥.
(٢٥) الغدير/(ج٥/ص ٢٩٢)ـ نقلاً عن طبقات الحفّاظ/للذهبي/(ج٢/ص ١٥٤).
(٢٦) الغدير/(ج٥/ص ٢٩٣) ـ نقلاً عن خلاصة التهذيب/ج٩.
(٢٧) إرشاد الفحول/للشوكاني/ص ٢٥٠.
(٢٨) حديث الثقلين/إصدار دار التقريب/ص ٦ـ٩.
(٢٩) نقلنا أكثر هذه المصادر عن كتاب الغدير/للعلاّمة الأميني.
(٣٠) روينا الرواية بالأسناد المتقدمة من كتاب فضائل الخمسة في الصحاح الستة/للسيد مرتضى

الفيروز آبادي/(ج٢/ص ٥٦ـ٥٨).
(٣١) الغدير/(ج٦/ص ٧٩).
(٣٢) نقلنا هذه المصادر عن كتاب الغدير/(ج٦/ص ٦١ـ٧٧)، ويحسن مراجعة هذا الكتاب للوقوف على مصادر الحديث الكثيرة في كتب الحديث.
(٣٣) الغدير/(ج٦/ص ٧٨).
(٣٤) الغدير/(ج٦/ص ٨٠).
(٣٥) أخرجها الترمذي في جامعه الصحيح/(ج٢/ص ٢١٤)، وأبو نعيم في حلية الأولياء/(ج١/ص ٦٤)، والبغوي في مصابيح السنة/(ج٢/ص ٢٧٥)، وجمع آخر تربو عدّتهم على ستين من الحفّاظ وأئمّة الحديث/الغدير/(ج٦/ص ٨٠).
(٣٦) أخرجه البغوي في مصابيح السنة، كما ذكره الطبري في ذخائر العقبى/ص ٧٧، وآخرون/الغدير/(ج٦/ص ٨٠).
(٣٧) أخرجه الديلمي في فردوس الأخبار مسنداً عن إبن عباس مرفوعاً، وتبعه جمع ونقلوه عنه كالعجلوني في كشف الخفا/(ج١/ص ٢٠٤) وغيره/الغدير (ج٦/ص ٨٠).
(٣٨) أخرجه المتّقي في كنز العمّال/(ج٦/ص ١٥٦)، والكنز الجلي في فضائل علي/للسيوطي، جعله الحديث الثامن والثلاثين من الكتاب/الغدير/(ج٦/ص ٨٠).
(٣٩) أخرجه أبو نعيم والخوارزمي في المناقب، والرافعي في التدوين، والكنجي في المناقب، والحموي في فرائد السمطين، والشيخ محمد الحنفي في شرح الجامع الصغير/الغدير/(ج٦/ص ٨٠ـ٨١).
(٤٠) الغدير/(ج٦/ص ٨١).
(٤١) مستدرك الصحيحين/(ج٣/ص ١٤٩).
(٤٢) مستدرك الصحيحين/(ج٣/ص ١٢٤).
(٤٣) رواه الإمام شرف الدين في المراجعات، وقال: هذا الحديث بعين لفظه هو الحديث (٣٨١٩) من أحاديث الكنز في آخر ص ٢١٧ من جزئه ٦، وقد أورده في منتخب الكنز أيضاً، وأخرجه الحافظ أبو نعيم في حليته، ونقله عنه علّامة المعتزلة من ص ٤٥٠ من المجلّد الثاني في شرح النهج طبع مصر، ونقل نحوه في ص ٤٤٩، عن أبي عبدالله أحمد بن حنبل في كل من مسنده وكتاب مناقب علي بن أبي طالب (ع).
مستدرك الصحيحين/(ج٣/ص ١٢٨)، ونقله الإمام شرف الدين في المراجعات/ص ٢٧، عن كنز العمّال حديث رقم (٢٥٧٧).
(٤٤) رواه الإمام شرف الدين في المراجعات، وقال: هذا الحديث بعين لفظه هو الحديث (٣٨١٩) من أحاديث الكنز في آخر ص ٢١٧ من جزئه ٦، وقد أورده في منتخب الكنز أيضاً، وأخرجه الحافظ أبو نعيم في حليته، ونقله عنه علّامة المعتزلة في ص ٤٥٠ من المجلّد الثاني من شرح النهج طبع مصر، ونقل نحوه في ص ٤٤٩، عن أبي عبدالله أحمد بن حنبل في كل من مسنده وكتاب مناقب علي بن أبي طالب (ع).
(٤٥) رواه الإمام شرف الدين في المراجعات/ص ٢٦، وقال: وهذا الحديث هو الحديث (٢٥٧٨)

من أحاديث الكنز في ص ١٥٥ من جزئه ٦، وأورده في المنتخب أيضاً.

(٤٦) كما رواه الإمام شرف الدين عن مسيرة الملّا والصواعق المحرقة/ص ٩٠.

(٤٧) نهج البلاغة/ص ٣٠٠ـ٣٠١.

(٤٨) تحسن مراجعة (عبقات الأنوار)/للسيد مير حامد حسين، و(الغدير)/للمرحوم الشيخ عبدالحسين الأميني، و(المراجعات)/للمرحوم السيد شرف الدين، و(دلائل الصدق) للشيخ محمد حسن المظفر، و(إحقاق الحق)/للقاضي نور اللّه التستري.

(٤٩) وقد صرّح عدد غير قليل من المفسّرين والمحدّثين بنزول هذه الآية بعد نصب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) للامامة في غدير خم، وتعيين رسول اللّه (ص) الكتاب والعترة من بعده مرجعين المسلمين لا يضلّون بعدهما، كما في بلاغ يوم الغدير.. ومن هؤلاء المحدّثين الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل/ص ١٥٧.

عن أبي سعيد الخدري أنّ رسول اللّه (ص) لّما نزلت عليه هذه الآية «اليوم أكملت لكم دينكم» قال: اللّه أكبر على إكمال الدين، وإتمام النعمة، ورضا الربّ برسالتي وولاية علي بن أبي طالب من بعدي، ثم قال: (من كنت مولاه فعلي مولاه، اللّهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله).

ورواه أيضاً بأسناد أخرى في ص ١٥٧ـ١٥٨ من شواهد التنزيل، وروى الحاكم أيضاً بسند عن أبي هريرة في صوم يوم غدير خم، قال: لّما أخذ النبي بيد علي، فقال (ص): ألست أولى بالمؤمنين. قالوا: بلى يارسول اللّه. فقال: (من كنت مولاه فعلي مولاه)، فقال عمر بن الخطّاب: بخ، بخ لك يابن أبي طالب، أصبحت مولاي، ومولى كلّ مؤمن، وأنزل اللّه: «اليوم أكملت لكم دينكم».

ونقل الشيخ عبدالحسين الأميني في الغدير/(ج١/ص ٢١٠ـ٢١٧)/ط النجف، الأحاديث الواردة في نزول آية الإكمال في علي (ع)، عن ستة عشر مصدراً، منها الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد/(ج٨/ص ٢٩٠)، وإبن المغازلي الشافعي ذكره في العمدة/ص ٥٢، والخوارزمي في المناقب/ص ٨٠، ٩٤، وسبط إبن الجوزي في التذكرة/ص ١٨، وشيخ الإسلام الحمويني الشافعي في فرائد السمطين. كما روى نزول هذه الآية الكريمة في علي (ع) عندما نصّبه اللّه إماماً على المسلمين عامة، المفسّرين والمحدّثين من الشيعة بغير استثناء.

(٥٠) لسان العرب/(ج١٣/ص ٣١) دار صادر/بيروت.

(٥١) التفسير الكبير للرازي/(ج٢٥/ص ٢٠٩).

(٥٢) العنكبوت/٦٩.

(٥٣) المفردات/للراغب/ص ١٨٨.

(٥٤) الأنعام/١٤٥.

(٥٥) التوبة/١٢٥.

(٥٦) الأنعام/١٢٥، ويحسن مراجعة تفسير الميزان/للعلّامة الطباطبائي/(ج١٦/ص ٣٣٠).

(٥٧) جامع البيان/للطبري/(ج٢٢/ص ٥).

(٥٨) الفصول المهمّة/للامام شرف الدين رحمه اللّه/ص ٢١٨.

(٥٩) تفسير غرائب القرآن/للنيسابوري، بهامش جامع البيان/(ج٢٢/ص ١٠).
(٦٠) برواية الحاكم في مستدرك الصحيحين كما يأتي.
(٦١) برواية الطبري، وإبن كثير، في تفسيريهما، والترمذي في صحيحه، والطحاوي في مشكل الآثار، كما سوف يأتي.
(٦٢) رواها السيوطي في الدر المنثور، عن أبي سعيد، كما يأتي في هذه الرسالة.
(٦٣) رواها الطبري في التفسير، والمحب الطبري في ذخائر العقبى، عن أبي سعيد رحمه الله، كما يأتي في هذه الرسالة. ورواها إبن كثير في التفسير/(ج٣/ص ٤٨٥).
(٦٤) الكلمة الغرّاء في تفضيل الزهراء/للامام شرف الدين، المطبوع في كتاب (الفصول المهمة)/ص ٢٠٤ـ٢٠٥.
(٦٥) رواها في مجمع الزوائد، كما يأتي في هذه الرسالة.
(٦٦) رواها السيوطي في الدر المنثور، كما يأتي في هذه الرسالة.
(٦٧) رواها الترمذي في الصحيح، وأحمد في المسند والطيالسي في المسند، والحاكم في مستدرك الصحيحين، وإبن حجر في أسد الغابة، والطبري وإبن كثير والسيوطي في تفاسيرهم، كما يأتي في هذه الرسالة.
(٦٨) الصواعق المحرقة/ص ١٤٣.
(٦٩) تفسير إبن كثير/(ج٣/ص ٤٨٣).
(٧٠) دلائل الصدق/(ج٢/ص ٦٥).
(٧١) أسباب النزول/للواحدي/ص ٢٤٠، وإبن كثير/(ج٣/ص ٤٨٣)، وجامع البيان/للطبري/(ج٢٢/ص ٧).
(٧٢) الكاشف/للذهبي/(ج٢/ص ٢٧٦).
(٧٣) تهذيب التهذيب/(ج٧/ص ٢٦٧).
(٧٤) نفس المصدر.
(٧٥) نفس المصدر.
(٧٦) صفوة الصفوة/(ج٢/ص ١٠٣).
(٧٧) تهذيب التهذيب/(ج٧/ص ٢٦٧).
(٧٨) نفس المصدر.
(٧٩) وفيات الأعيان/(ج٢/ص ٤٢٨)، وتهذيب التهذيب/(ج٧/ص ٢٦٨).
(٨٠) تهذيب التهذيب/(ج٨/ص ٢٦٨).
(٨١) نفس المصدر.
(٨٢) نفس المصدر.
(٨٣) نفس المصدر.
(٨٤) نفس المصدر.
(٨٥) نفس المصدر.
(٨٦) التاريخ الكبير/للبخاري/(ج٨/ص ١٤).

(٨٧) تهذيب التهذيب/(ج١٠/ص ٢٨٠).
(٨٨) تهذيب التهذيب/(ج١٠/ص ٢٨١).
(٨٩) نفس المصدر.
(٩٠) نفس المصدر.
(٩١) نفس المصدر.
(٩٢) نفس المصدر.
(٩٣) نفس المصدر.
(٩٤) نفس المصدر.
(٩٥) نفس المصدر.
(٩٦) نفس المصدر.
(٩٧) وفيات الأعيان/(ج٤/ص ٣٤٢).
(٩٨) تقريب التهذيب/للعسقلاني/(ج٢/ص ٢٧٢).
(٩٩) أسباب النزول/للواحدي/ص ٢٣٩.
(١٠٠) تقريب التهذيب/(ج١/ص ٤٦٩).
(١٠١) الكاشف/للذهبي/ج٢/ص ١٥٢.
(١٠٢) تهذيب التهذيب/(ج٦/ص ١٢٠).
(١٠٣) نفس المصدر.
(١٠٤) تهذيب التهذيب/(ج٣/ص ١٤٣ـ١٤٤).
(١٠٥) الكاشف/(ج١/ص ٢٨٠).
(١٠٦) جامع البيان/للطبري/(ج٢٢/ص ٦).
(١٠٧) جامع البيان/(ج٢٢/ص ٦).
(١٠٨) تفسير إبن كثير/(ج٣/ص ٤٨٣).
(١٠٩) مستدرك الصحيحين/(ج٣/ص ١٤٧).
(١١٠) تهذيب التهذيب/(ج١١/ص ١٠١).
(١١١) الغدير/(ج٥/ص ٣٠٨/ط٢)، واللئالي المصنوعة/(ج١/ص ٤١٩).
(١١٢) الغدير/(ج٥/ص ٣٠٨).
(١١٣) اللئالي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة/(ج١/ص ٤١٧).
(١١٤) المصدر السابق.
(١١٥) تفسير إبن كثير/(ج٣/ص ٤٨٣).
(١١٦) التاريخ الكبير/للبخاري/ج٤/ص ٢٢٦).
(١١٧) التاريخ الكبير/(ج٤/ص ٢٢٦).
(١١٨) تهذيب التهذيب/(ج٤/ص ٣١٧).
(١١٩) تفسير إبن كثير/(ج٣/ص ٤٨٣).
(١٢٠) تفسير جامع البيان/(ج٢٢/ص ٧).

(١٢١) تهذيب التهذيب/(ج١٠/ص ٣٧٨_٣٧٩).
(١٢٢) تهذيب التهذيب/(ج٣/ص ١١٧_١١٨).
(١٢٣) الصواعق المحرقة/لابن حجر الهيثمي/ص ١٤٤.
(١٢٤) لسان العرب/(ج١١/ص ٣٨).
(١٢٥) النهاية/لإبن الأثير/(ج١/ص ٨١).
(١٢٦) الجامع الصحيح/لمسلم بن الحجّاج/(ج٧/ص ١٢٢_١٢٣). وروى الحديثين إبن كثير في التفسير/(ج٣/ص ٤٨٦).
(١٢٧) الكلمة الغرّاء في تفضيل الزهراء (س)/ص ٢١٣.
(١٢٨) الكلمة الغرّاء في تفضيل الزهراء (س)/ص ٢١٣.
(١٢٩) خطبة الشقشقية في نهج البلاغة/الشيخ محمد عبده/(ج١/ص ٢٥).
(١٣٠) نقلنا هذه الروايات عن كتاب المراجعات/للامام شرف الدين رحمه اللّه.
(١٣١) راجع رسالة حديث الثقلين.
(١٣٢) الصواعق المحرقة/ص ١٤٩.
(١٣٣) نقلنا هذه الأحاديث عن المراجعات للامام شرف الدين رحمه اللّه.
(١٣٤) الكافي/ج١/، كتاب الحجّة/ص ٢٩٢_٣٢٩.
(١٣٥) صحيح البخاري/(ج٩/ص ٨١).
(١٣٦) صحيح مسلم/(ج٦/ص ٤).
(١٣٧) مسند أحمد بن حنبل.
(١٣٨) الأصول العامة للفقه المقارن/ص ١٧٨.
(١٣٩) اضواء على السنة المحمدية/ص ٢١٢.
(١٤٠) أصول الكافي/(ج١/ص ٥٣).
(١٤١) أصول الكافي/(ج١/ص ٤٣).
(١٤٢) أمالي المفيد/ص ٢٦.
(١٤٣) وسائل الشيعة/(ج٣/ص ٣٨٠).
(١٤٤) بصائر الدرجات/ص ٨٦.
(١٤٥) أصول الكافي/(ج١/ص ٥٨).
(١٤٦) بصائر الدرجات/ص ٨٥.
(١٤٧) بصائر الدرجات/ص ٨٦.
(١٤٨) بصائر الدرجات/ص ٨٥.
(١٤٩) بصائر الدرجات/ص ٨٥.
(١٥٠) نقلنا هذه الأحاديث جميعاً عن كتاب (جامع أحاديث الشيعة في أحكام الشريعة)/(ج١/ص ١٧_١٨)/ط١.
(١٥١) النمل/٤٠.
(١٥٢) الكهف/٦٤_٦٥.

(١٥٣) أصول الكافي/(ج١/ص ٦٢).
(١٥٤) وسائل الشيعة/(ج٣/ص ٣٩١).
(١٥٥) بصائر الدرجات/ص ٤٣.
(١٥٦) بصائر الدرجات/ص ٣٩.
(١٥٧) أصول الكافي/(ج١/ص ٢٤١).
(١٥٨) بصائر الدرجات/ص ٤٤.
(١٥٩) رجال النجاشي/ص ٢٥٥.
(١٦٠) نقلنا هذه الروايات من كتاب جامع أحاديث الشيعة من أحكام الشريعة/ج١.
(١٦١) بصائر الدرجات/ص ٤٥.
(١٦٢) بصائر الدرجات/ص ٤٣، نقلنا هذه الروايات عن مصادرها عن كتاب جامع أحاديث الشيعة في أحكام الشريعة/ج١.
(١٦٣) الكافي/(ج٢/ص ٧٩)، عن كتاب معالم المدرستين/(ج٢/ص ٣١٩).
(١٦٤) غيبة الشيخ الطوسي/ط تبريز/سنة ١٣٢٣هـ/والمناقب لإبن شهر آشوب/(ج٤/ص ١٧٢)، والبحار/(ج٤٦/ص ١٨)وج٣، وقد أخذنا اللفظ من الأخير عن معالم المدرستين/(ج٢/ص ٣٢٠).
(١٦٥) أصول الكافي/(ج١/ص ٣٠٥/ح٢)، وإعلام الورى/ص ٢٦٠، وبصائر الدرجات/باب١/ص ٤٤، عن معالم المدرستين/(ج٢/ص ٣٢٠).
(١٦٦) أصول الكافي/(ج١/ص ٣٠٥/ح١)، والوافي/(ج٢/ص ٨٢)، وبصائر الدرجات/ص ١٦٥، عن معالم المدرستين/(ج٢/ص ٣٢١).
(١٦٧) بصائر الدرجات/ص ١٥٨، عن معالم المدرستين/(ج٢/ص ٣٢١).
(١٦٨) بصائر الدرجات/ص ١٦٥ـ١٦٦، عن معالم المدرستين/(ج٢/ص ٣٢١).
(١٦٩) غيبة النعماني/ص ١٧٧، والبحار /(ج٤٨/ص ٢٢)، عن معالم المدرستين (ج٢/ص ٣٢٢).
(١٧٠) أصول الكافي/(ج١/ص ٣١١)، عن معالم المدرستين/(ج٢/ص ٣٢٢).
(١٧١) رجال الكشّي/ص ٣٨٢، عن معالم المدرستين/(ج٢/ص ٣٢٢).
(١٧٢) المراجعات/للامام شرف الدين/ص ٥٢ـ١١٨، ونذكر النماذج التالية كشواهد من الشواهد من هذا الكتاب القيّم.
(١٧٣) نقلنا ما تقدّم من كتاب المراجعات/للامام شرف الدين، ومن أراد المزيد فعليه بمراجعته.
(١٧٤) راجع معجم رجال الحديث/(ج٣/ص ١٠٦/ط بيروت).
(١٧٥) فتح الباري/المقدمة/ص ٤١٨.
(١٧٦) (١٧٧) (١٧٨) المصدر نفسه.
(١٧٩) تهذيب التهذيب/(ج١/ص ٩٤).
(١٨٠) فتح الباري/المقدمة/ص ٣٨٢.
(١٨١) كتاب الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي/ص ٢٠١.

الفهـــرس